الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق إبراهيم بوخالفة

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- فتيحة محقن.
- غزالة قيزان.

الأستاذ المشرف:
- د. عطى الله الناصر.

أعضاء لجنة المناقشة:

- د. بوعزيزة علي ..... رئيـــســـــا.
- د. عطى الله الناصر ..... مشرفا مقررا.
- د. نهاري شريف ..... عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1441- 1442هـ/ 2020- 2021م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء نحمد الله العظيم

الذي يَسَّرَ وأَعَانَ،

ونسأله المزيد من فضله فهو سبحانه

الذي يجازي على الشكر بالمزيد.

ثم نتوجه بخالص مشاعر الاحترام والتقدير والشكر

الجزيل إلى الأستاذ الفاضل "عطى الله الناصر"

الذي أرشدنا وقبل الإشراف على هذا البحث المتواضع

جزّاه الله كل خير.

كما نتقدم بالشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل

أعضاء لجنة المناقشة.

جزاكم الله كل خير.

إهداء

إلى والدي الكريمين

وإلى أخواتي وإخواني

وإلى أستاذي المشرف عطى الله الناصر

الذي أعتبر هذا البحث ثمرة إشرافه

ومتابعته

غزالة قيزان

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة، رغم رحيلك عني

إلا أنني لازلت أستنير بطيف

وجودك جانبي في كل لحظة

إلى أمي قرة عيني أطال الله في عمرها،

وحمدا له لأنه جعلها تشهد هذه اللحظة.

وإلى أمي الثانية معلمتي "يحي ذهبية" التي رافقتني

طوال مشواري الدراسي وكانت لي سندا

إلى عائلتي الأولى

وإلى هبة، نور الهدى، شيماء، سمية، إبراهيم، عائلتي

الثانية.

وإلى صديقاتي: أمينة- سعاد- خديجة.

مسك الختام التي رافقتني صدى ضحكاتهن إلى هاته

اللحظة وما بعدها إن شاء الله

أسأل الله لهن التوفيق والسداد

فتيحة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، الذي بعث محمدا رسوله الصادق الأمين، وأيّده بالنور المبين، وأشهد ذوي الألباب براهين اليقين، على أنّه خاتم المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن دراسة الأدب العربي شغلت الكثير من الباحثين الغربيين لما لها من خصائص تتفرد بها فاهتموا بالجانب الديني وجعلوه محور دراستهم وكشف أسرارهم حيث ترجموا القرآن إلى العديد من اللغات، كما تطرقوا إلى جوانب عديدة منها الجانب العلمي، الجانب الثقافي، والجانب الفكري، ودرسوا تكوينه الاجتماعي، شكل هذا خطر كبير عليه، فلجأوا إلى العديد من الوسائل من أجل معرفة الشرق ويعتبر هذا نوعا من أنواع التجسس حيث تدعى هذه الظاهرة بظاهرة الاستشراق، فتعددت الآراء حول ما جاء بها الاستشراق، ونحن بصدد إعطاء الرؤى النقدية في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة.

ولقد أثارت دراستنا لهذا الموضوع مجموعة من التساؤلات من بينها ما يلي:

- ما مفهوم الاستشراق ومتى ظهر وما هي أهم دوافعه؟
- وهل تمكن الغرب من إعلاء صوته على حساب دفن صوت المشرق؟
- وهل استطاع المشرقي الانسلاخ من أصوله والاستسلام للأفكار الإيديولوجية الغربية؟
- وما هي أهم الرؤى التي خرج بها الناقد إبراهيم بوخالفة من خلال دراساته لروايات أمين معلوف؟

إنه ثمة دوافع ذاتية وموضوعية ساقتنا لاختيار هذا الموضوع، فأمّا الذاتية فتكمن في الرغبة في معرفة مساعي الغرب نحو الشرق وكذا اكتشاف الدوافع من

وراء الظاهرة الاستشراقية وأما الموضوعية الفضول في معرفة غيرة المسلمين على دينهم، وهل استطاعوا صد ومواجهة تلك المغالطات التي نشرها الغرب عن الإسلام.

وفي ضوء ما سبق ذكره من تساؤلات قائمة بشأن إشكالية البحث، رأينا أن تقوم خطّة البحث على فصلين يتصدرهما مدخل هذا فضلا عن مقدمة وخاتمة وفهرس للموضوعات.

أمّا المدخل كان عبارة عن نبذة عامة حول موضوع الاستشراق.

وفيما يخص الفصل الأول وهو فصل نظري والموسوم بـ: الاستشراق والنقد قد اندرج على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المبحث الثاني: مفهوم الرؤية.

المبحث الثالث: نقد الاستشراق.

أمّا الفصل الثاني وهو فصل تطبيقي والموسوم بـ: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة، ويحوي أيضا مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بوخالفة.

المبحث الثاني: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق.

ولتحقيق الهدف المرجو من هذا البحث اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي.

كما اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة.

ومن الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجازنا هذا البحث نذكر منها:

- قضية الاستشراق قضية هزت كل العالم خصوصا مؤخرا فكثر الإنتاج والطبع فيها، مما صعّب علينا انتقاء المعلومات المناسبة التي ندعم بها بحثنا.

وضيق الوقت شكّل لنا أكبر عائق، والـــذي جعلنـــا ربمـــا لا نوظّـــف المعلومـــات بشكل أوفر.

وختمنا بحثنا بخاتمة أوردنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وفي الأخير نشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لنا إنجاز هـــذا البحـــث ونتقـــدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل الذي كان لنا ســـندا ومرجعـــا في إنجـــاز هـــذا البحـــث الأستاذ "عطى الله الناصر".

حرّر يوم: 30- 06- 2021م.

مـدخـل

تنفتح الثقافة الإسلامية على الآفاق الإنسانيّة الواسعة مستجيبة لمتطلبات التجديد المتواصل الذي لا ينضب له معين في شتّى حقول الإبداع الفكري والفنّي من خلال اتساع الرغبات الفطريّة لدى الإنسان في اكتساب العلم والمعرفة، وفي إبداع الفنون والآداب، في التعبير عن أشواقه وأحلامه وأماله وآلامه، بما يتاح له من وسائل اهتدى إليها عبر المسيرة الإنسانية الطويلة. (1)

ومن الظواهر التي صاحبت ازدهار الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية حركة أو ظاهرة الاستشراق التي عنيت بعلوم المسلمين بالدراسة والتحليل، واهتمت بتراث المسلمين المخطوط منه والمطبوع، تحققه وتدرسه وتهجم به في فترة من الفترات التي انشغل بها المسلمون عن هذا التراث وانصرفوا إلى متطلبات الحياة البدائية في معظم المجتمعات المسلمة حتى أصبح العلم والعلماء غرباء في المجتمعات.

وإذا كان المستشرقون يمثلون هذه الظاهرة فإنّ اهتمام معظمهم بالثقافة الإسلامية لم يبدأ من منطلق حسن، إذ يزعم الدارسون لظاهرة الاستشراق الذي يدرس الثقافة الإسلامية بخاصة أنّ هذه الظاهرة قد اتّكأت كثيرًا على "خلفية غير إيحائية" تجاه الإسلام على أنّه التهديد العقدي والثقافي الأول للوجود الثقافي والحضاري للغرب، الأمر الذي تجدّد مع بروز ظاهرة التي تعارف المفكرون المسلمون على تسميتها بالصحوة، في الوقت نفسه الغرب بثقافته القائمة على الخلفية النصرانية واليهودية للعالم الإسلامي معتقدا أنه هو العدّو القادم. (2)

1- محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنطقة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، المملكة المغربية، الرباط، 1433 هـ- 2012م، ص: 05.

2- علي إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلاميّة، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1998، ص: 19.

ولقد احتلت الدراسات الاستشراقية حيزا واسعا في مجال الدراسات الإسلامية، ولهذا الدراسات أهيمتها وثقلها العلمي في الدوائر العلميّة، بحيث لا تكاد تخلو دراسته علميّة من الإشارة إليها.

ولقد عملت هذه الدراسات منذ وقت مبكر على تشكيل العقل الغربي وتحديد موقفه تجاه الإسلام، بحيث يمكن القول بأنّ الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام هو في نهاية المطاف موقف الاستشراق ذاته من الإسلام، كما عملت هذه الدراسات الاستشراقية من جانب آخر على تشكيل عقلية الصفوة العلمية في العالم الإسلامي من خلال الابتعات للجامعات الغربية مما أدى لاستمرار النسق المعرفي الاستشراقي، يضاف لهذا ما تحدثه ترجمة الدراسات الاستشراقية إلى اللغة العربية أو اللغات المحلية في العالم الإسلامي من تأثير فكري. [1]

فقد كثر الحديث عن الاستشراق في الشرق والغرب، ومن العوامل التي أذكت تلك المناقشات ما أحاط بظاهرة الاستشراق من ظروف لا تزال تتخللها في كثير من بلاد الغرب، فهناك علاقة وطيدة بين نشأة الدراسات الاستشراقية والصراع الديني العسكري بين الغرب والعالم الإسلامي مرورا بالحروب الصليبية وانتهاء بالاستعمار والهيمنة الغربية على العالم الإسلامي. [2]

وممّا لاشك فيه أن الاستشراق والمستشرقون قد بذلوا أعظم الجهد وأخطره فيما يمكن أن يندرج تحت ما يطلق عليه "حوار الحضارات" وقد درس بعض الباحثين هذا الجهد الكبير وقيموه وذهبوا فيه مذاهب شتى بين مادح لا يرى فيه عيبا ولا عوجا، ولا أمتا ولا نقصا، وقادح لا يرى فيه غير السلبيات والمثالب.

1- عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، سلسلة الرسائل الجامعية 21، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات الأمريكية المتحدة، ط1، 1417- 1997م، ص: 01.

2- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الرياض، ط1، 1414هـ- 1993م، ص: 05.

فالواقع أنّ الاستشراق ظاهرة قد حدثت نتيجة أسباب نظرية وعملية ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، وعلى ذلك فإنّ التعامل الموضوعي معها، درسا وتقويما يعد من المطالب العلميّة الواجبة بل المتعيّنة. [1]

ومن الصعب على أي باحث في مجال الدراسات الاستشراقية قديمها وحديثها، أن يغفل عن دراسة الاستشراق كظاهرة، لا يتوقف أثرها عند حدود الأهداف المعرفية، فالمعرفة هدف وغاية في مواطن كثيرة.

والاستشراق كظاهرة ثقافية لا يمكن فهم حركتها وتفسير تناقضاتها إلاّ في إطار نظرة شمولية تستوعب الحركة الثقافية والفكرية في إطار انسجامها وتفسيرها عن مواقف نصية متراكمة في موطن الوعي الذاتي للإنسان.

والإنسان وليد انفعالات تمثل إرثه القديم منذ طفولته الأولى، حيث تتراكم في النفس الإنسانية عواطف ومؤثرات وتصورات، فالطفل الصغير في سنواته الأولى يسمع ويرى، ويتراكم كل ذلك في تكوينه، وعندما يكبر وينضج، يحاول أن يختار طريقه وأن يكتشف قدراته، ولا يدري أنه حاول أن يخرج عن هذا الإطار، سرعان ما يستفيق وعيه الكامن في ظل هواءه الأول، فأضاء ذلك الهواء ظلمته وغربته، وغذى فيه مشاعر الانتماء وقوى في كيانه عواطف لم تكن تعرف طريقها من قبل إليه. [2]

والاستشراق ظاهرة ثقافية ومعرفية تغذيها عواطف اكتشاف ذلك المجهول الغامض المحاط بالرموز التي لا تقرأ أحرفها بسهولة، والشرق، هو ذلك المجهول في أعماق النفس الأوروبية، ليس هو مجرد كيان جغرافي بعيد، ولو كان الأمر كذلك لتطلعت النفس إلى استكشاف ذلك المجهول الجغرافي مندفعة بتلقائية وعفوية تحتضن بحب ولهفة ذلك الوليد المستكشف، ويجد في ملامحه إشراقة براءة وطفولة، وليس هو

1- محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق (وتشكيل نظرة الغرب للإسلام)، دار الكبير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 1437 هـ- 2016م، ص: 09.

2- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

مجرد غابة مكتظة بمعارف وعلوم وثقافات وتقاليد وحضارات، ولو كان الأمر كذلك، لاندفعت النفسي إلى تلك الغابة، مستظلة بمعارفها، مستنشقة هواءها النقي الفني بأسس بالصحة ضاحكة مستبشرة تحتضن الطبيعة بلهفة، وتستلقي فوق ترابها مطمئنة مستقرة. (1)

فالاستشراق مفهوم غير واضح المعالم، فليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق، بحيث يمكن إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، لها قياداتها وأطرها ونظرياتها ومقوماتها، ومع الاتجاه الذي تمليه الكلمة، إلاّ هناك خلطا واضحا في الإنتاج الفكري العربي الذي حاول تحديد المفهوم.

ولعلّ السبب الرئيسي في ذلك يعود بدرجة أولى إلى غموض المصطلح الذي خُصّ به هذا الميدان، فهو على قدر من الشمول، بحيث أنّه يدل على كل شيء، ولا يكاد يدل على شيء بعينه، ففيه يحشر علم الآثار والأدب، ويقرن علم الاجتماع بالإسلاميات، ثم تجمع هذه الاختصاصات وغيرها تحت عنوانه الواحد دون مراعاة لما بينها من فروق نوعية واختلافات جوهرية.

كما أنّه ليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث أو المطّلع أو المتوسع في هذا المجال أن يحدد تاريخا بعينه، تكون فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافاتها وعقائدها وآدابها، وعاداتها وتقاليدها التي كانت تغطي الشرق. (2)

ولقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأيا، بعضها يعطي تاريخنا بعينه، وبعض آخر يعطي حقبة أو عصرا من العصور التي مرّ بها

1- محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، ص: 7.

2- المرجع نفسه: ص: 8.

الشرق أو العالم والبعض الثالث لا يعطي زمنا، وإنما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات.

ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحة متميزة، بحيث يمكن تحديدها بدقة وعزل كل دافع عن الآخر، بل جاءت الدوافع من خلال الإنتاج الفكري العربي متداخلة بعضها مع بعض، بحيث خرج المطلع أحيانا في حال هي أكثر غموضا من ذي قبل، فيكون بحاجة إلى المزيد من الإقناع للتسليم بهذه الدوافع كلها، وإن سلّم بدافع أو دافعين منها، والمتفق عليه بين بعض الدارسين العرب وغير العرب ابتداء أنّ هناك دوافع للاستشراق، مع غموض المفهوم والدوافع لم يكن هناك أيضا وضوح في تحديد الأهداف. [1]

فالاستشراق يمثّل أحد أبرز محددات العلاقة بين الغرب والشرق، قديما وحديثا وفي الوقت المعاصر، ذلك أنّ الاستشراق بشكل عام هو تلك الصورة التي ترتسم في ذهن الرجل الغربي عن الشرق عامة، والشرق العربي والإسلامي خاصة، نتيجة الكتابات – سواء الأكاديمية منها أو الخيالية- التي يجريها الباحث الغربي عن موضوعه الذي هو الشرق.

ولقد تعددت الدراسات التي تناولت الظاهرة الاستشراقية، وتعددت مناحي التناول لهذه الظاهرة، وبذلك اختلفت الرؤى لهؤلاء في نقدهم للاستشراق وكان للخلفيات الثقافية والفكريّة دور في ذلك الاختلاف.

كما تعددت طرق تناول الظاهرة الاستشراقية فبين من تناولها تاريخيا عبر مراحلها المختلفة، وبين من اهتم بفترة زمنية محددة، وبين من تناولها من خلال تتبع

1- علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق (المفهوم، الأهداف، الارتباطات)، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان- بيروت ، ط3، 1432 هـ- 2011م، ص: 18-19.

كتابات مستشرقين بعينهم وبين من ربطها بدولة معيّنة باعتبارها مدرسة خاصة ومستقلة عن غيرها من المدارس الأخرى. [1]

فالاستشراق ظاهرة فكريّة لعبت دورا خطيرا في الفكر والأدب العربيين قديما وحديثا، فقديما أخذ الاستشراق العلوم والآداب والفنون من الآن من التقدم والرقي حيث أقام نهضته على دعائمها، وبلغ ما للّغة الآن من التقدم والرقي والازدهار، وحديثا أخذ الاستشراق الأفكار والنّظريات والآراء الغربية المؤسسة على ثقافة العرب فرّدها إليهم مؤثرا بذلك في نهضتهم المعاصرة أبلغ التأثير. [2]

فالظاهرة الإستشراقية ولدت ونمت وامتدت منذ القرن العاشر الميلادي إلى يومنا هذا، فظاهرة امتدت كل هذه المدّة الزمنيّة وتميزت بكل تلك الحيويّة والقوة والتعاطي والشّد والجذب والجدل أحرى بها أن تترك ما لا يمحى أبد الدهر، ورغم أنّها ظاهرة تحكمت في نشأتها ظروف معيّنة في مرحلة حساسة من تاريخ العلاقة بين الغرب والشرق، ورغم كل الجدل الدائر والمستمر عن نهاية الإستشراق من عدمها، إلاّ أنّها أي الظاهرة الإستشراقية رسمت معالم تاريخ جديد بين الشرق والغرب مغاير لكل ما سبقه وفي المجالات الفكريّة والاجتماعية والسياسية. [3]

والإستشراق من حيث الرؤية العامة النظريّة، يفترض فيه رؤية موضوعية لتاريخ العلاقة التاريخية، القديمة، والوسيطة، والحديثة، بين الشرق والغرب من أجل

1- إبراهيم بن عمار: الاستشراق المعاصر ودوره في وضع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، أطروحة مقدمة للحصول على شهادة دكتوراه، ل . م. د، في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران2، 2018م- 2019م، ص: 01.

2- أحمد سمايلو قش: فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1418هـ- 1998م، ص: 07.

3- محمد أندلوسي: الترجمة الأدبيّة عند المستشرقين (المدرسة الفرنسية أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي المعاصر في ضوء الاستشراق، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات الأجنبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009- 2010، ص: 30.

التواصل الحضاري والروحي بين أبناء شعوب حضارات ضاربة في القدم مختلفة جغرافيا أو متباعدة تاريخيا، ضرورة استمرار الوجود الحضاري، وإقامة جسر ثقافي للتبادل المعرفي، وهو مبدأ عرفته البشرية كوسيلة فعّالة لإحياء حوار الحضارات، وفي ذلك كله ما يعين على الخروج من الأزمات الحضاريّة التي كثيرا ما تتعقد وتتشابك علاقاتها، وفي ذلك خير للشرق والغرب والتواصل الحضاري بين الشعوب. [1]

1- محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، قضايا إسلامية، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1414 هـ- 1994م، ص: 09.

الفصل الأول:

الاستشراق والنقد

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق

المبحث الثاني: مفهوم الرؤية

المبحث الثالث: نقد الاستشراق

الاستشراق مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات وليس من اليسر على أي باحث أن يحيط بأسرار هذه المدرسة وأن يستكشف كل خطواتها، وأن يلّم بأهدافها فهي وليد صراع طويل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية، وهي نتاج تجربة حيّة من الناقض وتباين بين عقيدتين وثقافتين وحضارتين. (1)

وعلى هذا الإطار بنى فريق من الغرب فلسفة وجوده على فكرة مفادها أنّ الغرب والشرق ضدان متغالبان، وقوتان متصارعتان، وأنّ تفوق منها على الآخر ينفي بالضرورة وحتما قوة الخصم فلا تعايش ممكن بينهما ولا سلام مأمول. (2)

وبناء عليه فإنّ الاستشراق ليس فقط مبحثا يرتبط بمصدره؛ أي الغرب، أكثر مما يرتبط بموضوعه، أي الشرق، وليس فقط نوعًا من المعرفة وثيق الصلة بالحضارة المسطرة التي أنتجته، وإنّما هو أيضا مبحث ينتمي إلى الغرب وحده ويوجه إليه ويهدف إلى خدمته، أي إنّه مرتبط بالغرب، لا من ناحية الأصل، بل من ناحية الغاية أيضا.

ففي الإستشراق تخاطب الثقافة الغربية نفسها أساسا، لكي تتعرف على الشرق وتتعامل معه. (3)

لقد مثل الإستشراق تيارا فكريا في الدراسات المختلفة عن بلاد الشرق، وفي البحث عن علومه وعقائده وآدابه، وشملت كتاباته حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، وأسهم تياره في صياغة التصورات الغربية عن العالم العربي والإسلامي، وعبّر عن خلفية الصراع الحضاري- القديم والحديث- بين الشرق والغرب.

1- محمد النبهان: الاستشراق، تعريفه، مداره، آثاره، ص: 11.

2- ينظر: سعد الدين الصالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، دط، 1990، ص: 25.

3- فؤاد زكريا: نقد الإستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة الهنداوي سي آيس سي، المملكة المتحدة، دط، 2017/01/26م، ص: 55.

ولقد احتلت ظاهرة الإستشراق حيّزا هاما من تاريخ البشريّة، ومن الحياة العربيّة الإسلاميّ، وكونّت عبر مختلف الحقب والأزمنة معلمًا رئيسا في مجال الفكر والثقافة والأدب، وانطلقت من دراسة الآثار العربيّة والإسلامية، واستطاعت أن تنقل علوم الشرق إلى الغرب الذي أقام نهضته وبلغ الذي أقام نهضته وبلغ أعلى مستويات التقدم والازدهار. (1)

وممّا لا شك فيه أنّ الاستشراق قد أبلى بلاءً حسنا في خدمة الإنسانية، فهو حركة واسعة النطاق، لقد تطرق إلى جميع الحياة الشرقية والإسلامية، فدرس كل جوانبها خاصة الدين الإسلامي واللّغة العربية، فقد اعتنى الدارسون الغربيون بهذين الأخيرين عناية كبيرة، وسرّ هذا الاهتمام يعود للحاجة الملّحة إلى معرفة بشكل كبير في صيّاغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق

لقد سعت الدول الغربيّة جاهدة لمعرفة الجوانب العلميّة والفكريّة والثقافية واللّغوية والدينية للشرق كي يسهل عليها التغلغل داخله وبالتالي السيطرة عليه، ولا يتأتى ذلك إلاّ من خلال لغته وكل ما يتعلق به ولهذا السبب ظهر الاستشراق. (2)

فما مفهوم الاستشراق؟

1- مفهوم الاستشراق:

أ- الاستشراق لغة:

إنّ الاستشراق كلمة مركبة من الشرق وإضافة (استـــ) والتي تعني في قوانين اللّغة العربيّة طلب الشيء إذن: هو طلب الشرق. (3)

1- منذر معاليقي: الإستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ- 1997م، ص: 05.

2- محمد المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، نوفمبر، 1992م، ص: 07.

3- عقيلة حسين: المرأة المسلمة فكر الاستشراق، دار بن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2004م، ص: 31.

كما جاء في تاج العروس: الشرق الشمس حين تشرق وحين تشرق الشمس، وقيل الشَرْقُ، الضوء الذي يدخل في شق الباب وشرقا الشمس شرقا، طلعت وأضاءت وانبسطت على الأرض. (1)

وجاء في لسان العرب: مادة شرق، شرقت الشمس، تشرق تساوي طلعت، واسم الموضع المشرق، والجمع هو الإشراق، وشَرق ذهب إلى المشرق، أو أتى الشرق، وأشرقت الشمس شرقا، أضاءت وانبسطت على الأرض. (2)

إنّ الاستشراق معناه اللّغة الانجليزية (Orientalisme) وهو مشتق من مادة "شرق" عكس الغرب.

ومنه كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق، وهي تعني مشرق الشمس، ومن ثمّ تدل الكلمة على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوعة. (3)

ب- التعريف الاصطلاحي:

أمّا عن مفهوم الاستشراق اصطلاحا، فقد تعددت واختلفت التعاريف وتشعبت المفاهيم حوله، فلم يجتمع العلماء والباحثون على مفهوم شامل ومحدود فقد شهد هذا المصطلح خلافات لا حصر لها من باحث لآخر، وذلك لاختلافهم في تحديد معنى الشرق بحد ذاته، ولعلّ أحسن تفسير لكلمتي الشرق والغرب حضاريا ما اصطلح عليه الأوروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب، ويعنون بالغرب أنفسهم، أمّا الشرق أهل آسيا وإفريقيا.

1- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط 2، ج 13، ص: 237.

2- ابن منظور: لسان العرب، مجدي عزيز إبراهيم، بيروت- لبنان، 2003م، دط، ص: 667.

3- الزيادي محمد فتح الله: ظاهرة انتشار الإسلام ومواقف المستشرقين منها، طرابلس- المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط1، 1392 هـ- 1983م، ص: 55.

جاء في الموسوعة العالمية: أنّ الاستشراق هو حقل معرفي ضخم نشأ في الغرب (أوروبا، أمريكا الشمالية) لدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالبا)، وتمثلها في الفنون المختلفة، وتعتبر الجوانب السياسية والعلمية والدينية هي الأبرز بين جوانبه المختلفة، فقد كان الهاجس الرئيس وراء نشوئه. [1]

يتضح لنا ممّا سبق أن الاستشراق هو ذلك الفكر الذي اعتنى بدراسة علوم الشرق الإسلامي بشتى أنواعه.

ج- مفهوم الاستشراق عند العلماء والباحثين:

أولا- عند العلماء والباحثين العرب:

الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين وتعتمد قوّة الحديث عنه على منطلقات المتحدّث، ونجد أنّ المنطلقات متعددة متفاوتة، فهناك من ينظر إلى هذا المفهوم نظرة الإعجاب التي تصل أحيانا إلى الانبهار، وهناك النظرة الرافضة لكل ما يأتي عن هذا المفهوم، مهما اصطبغ بالصيغة العلميّة إلى درجة التشكيك في اهتداء من اهتدى من أصحاب هذا المفهوم، وبخاصة أنّ البعض قد تظاهروا بالاهتداء قصدا إلى تحقيق أعراض غير علمية على أحوط الأحكام.

وهناك النظرة التي وقفت موقف المتفرج، فلم تنبهر و لم ترفض وأخضعت نتاج هذا المفهوم لأحكام علميّة خالصة وقبلت. [2]

كما ذكرنا أنّه قد تعددت وتباينت آراء العلماء والباحثين حول تحديد مفهوم شامل ومحدّد لمصطلح "الاستشراق" اصطلاحا، وفي ما يلي سنحاول إيراد بعض الآراء:

1- الموسوعة العالمية، مؤسسة أمال، الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج1، ص: 713.

2- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، ص: 14.

- الدكتور إدوارد سعيد: لقد تكلّم الباحث المعروف إدوارد سعيد عن الاستشراق ونجدّه يتحدث عن الاستشراق كمعنى اصطلاحي في مواضع كثيرة من كتابه المعروف والمشهور "الاستشراق".

فالاستشراق عنده هو فرع من فروع المعرفة الذي تناول به الشرق بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلّم والاكتشاف والتطبيق. [1]

وقال في موضوع آخر أمّا الاستشراق فإنّه حقل ذو طموح جغرافي وافر، ومادام المستشرقون تقليديا، قد شغلوا أنفسهم بالأشياء الشرقية (فالمختص بالفقه الإسلامي، تماما كالمختص باللهجات الصينية، او الديانات الهندية، وهو مستشرق في عرف من يسمون مستشرقين. [2]

ويقول في موضع آخر: الاستشراق قراءة الشرق بمنطلق سلطوي، ويؤسس للتمييز بين نمط المعرفة الغربية التي توصف دائما بالعقلانية وبين الثقافة الشرقية التي بدت كل التقريرات الاستشراقية عنوانا لنمط التفكير الأسطوري ونموذجا لعقل لا يمتلك الربط بين البرهان وبين المقدمات والنتائج. [3]

إذ يمكننا القول أنّ الإستشراق فرع من فروع المعرفة جاء لدراسة الشرق واكتشافه، ولقد كان للدراسات الاستشراقية دور كبير في معرفة الثقافة الشرقية.

وفي رأي الدكتور: محمد فتح الزيادي، الاستشراق هو: دراسة الشرق عموما ودراسة الإسلام والمسلمين خصوصا بقصد التشويه والتشكيك. [4]

1- إدوارد سعيد: المعرفة السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط4، 1995م، ص: 260.

2- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 83.

3- المرجع نفسه، ص: 34- 35.

4- الزيادي، محمد فتح الله: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، ص: 61- 62.

هنا يرى الزيادي أنّ الاستشراق جاء لدراسة الإسلام بشكل خاص وكان هدفه التشكيك فالدين الإسلامي وتشويه ومحاربته.

كما عرف الدكتور حسن حنفي الاستشراق بقوله: الاستشراق هو هذه المجموعة من الدراسات التي قام بها الباحثون الأوروبيون في أوّج النهضة الأوروبية إبان المد الاستعماري الأوروبي عندما أرادت أروبا جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الشعوب في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، أي في المستعمرات خارج أوروبا. (1)

يرى حسين حنفي هدفه استعماري، جاء لجمع المعلومات عن الشعوب المراد استعمارها بحثا عن طرق للتوغل فيها والسيطرة عليها.

كما نجد الدكتور محمود حمدي زقزوق يعرف الاستشراق بأنه: هو الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق. (2)

وعرف عبد التواب الغراب الاستشراق فقال: هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون – من أهل الكتاب بوجه خاص– للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة ونظما وثروات وإمكانات...بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات. (3)

فالاستشراق أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق (معظم الوقت) وبين الغرب. (4)

1- حسن حنفي: هموم الفكر والوطن، دار قباء، القاهرة، ط2، 1998، ص: 545.

2- زقزوق محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، الكويت، ط1، 1404هـ، ص: 18.

3- أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، بير منجهام، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص: 07.

4 -Edwars Said, Orientalisme, New york : vintage books, 1972, P : 02.

فهو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، ووصفه ودراسته والاستقرار فيه، والسيطرة على المشرق واسبنائه وامتلاك السيادة عليه. [1]

فالاستشراق Orientalisme عند إدوارد سعيد يمثّل منعرجا خطير في مسار الأمة الإسلامية حيث يعرفه بلهجة حادة وصارمة على أنّه خطاب أو إنشاء آخر، لأنّه تحليل لصورة الآخر الذي هو الإسلام، العرب، وسائر الشعوب الأخرى غير الأوروبية، في أروبا أو الغرب أو أي أرض من بقاع العالم شملها الفكر الإسلامي. [2]

ومحمد الغزالي في تعريفه للاستشراق نجده يربط بين الجانب الديني والعلمي، واعتبر هذه الحركة مجرد تدليس وشعوذة، لجأت إليها جماعة حاقدة. [3]

فنجده يقول: إنّ الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسموح العلم والرهبانية وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد. [4]

وإنّ مصطلح الاستشراق وإن اختلفت الآراء في تحديد مفهومه، هو مصطلح حديث الظهور إذ قورن بوجوده كنتيجة لتفاعل واحتكاك الشرق والغرب لظروف تاريخية وعوامل جغرافية، ذلك أنه لم يتداول إلاّ في مصطلح القرن التاسع عشر، وهو ترجمة لـ: Orientalis التي ظهرت في بريطانيا عام 1911، والمصطلح الفرنسي Orientalisme التي عرفته عام 1830 قبل أن يدرج رسميا في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1883. [5]

1- سعيد إدوارد: الاستشراق، (نيويورك 1978، بالإنجليزية، نقلا عن موقع ينشر، ص: 78.

2- هني كريمة: إسهامات حركة الاستشراق في التاريخ لنشأة المسرح العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم قسم الفنون، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017- 2018م، ص: 02.

3- شايب الدور أمحمد: الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، مذكرو ماجستير، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2009- 2010م، ص: 13.

4- محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 05، دت، ص: 04.

5- الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المتابع، الجزائر، 2004، ص: 28.

وبالتالي ومن خلال ما استنتجناه من التعريفات السابق ذكرها لعلماء وباحثين عرب، يمكننا القول: بأنّ الاستشراق هو تيار فكري غربي يدرس الشرق والشرقيين ماضيا، وحاضرا ومستقبلا، وهو لا يقتصر على دراسة غير الشرقيين فحسب، بل أثر الشرق في تكوين البناء الحضاري وتطوره في العالم بأسره.

ثانيا- عند العلماء والباحثين الغرب:

يقول بارت[*]: الاستشراق علم يختص بفقه اللغة، ولابد لنا إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، والأمر إلى هذا الحد واضح، ولكن ما معنى كلمة شرق في هذا المقام؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه، فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يفي العالم السلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي كما كان يسمى كذلك في الماضي، وهذه منطقة يختص بها علماء بحوث شرق أوروبا، أمّا الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا وذلك الاصطلاح يرجع إلى العصر الوسيط، بل العصور القديمة، التي كان فيها البحر المتوسط يقع كنا قيل وسط العالم وكانت الجهات الأصلية تحدد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى السمال بقي مصطلح الشرق برغم ذلك على الدول الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط، كذلك تعرضت لقطة "الشرق" في أعقاب الفتوحات العربية والإسلامية لتغيير آخر في معناها، أو إذ شئنا دقة أكثر تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من نسبة الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب بل إلى ناحية الغرب كذلك، وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال أفريقيا وتعرب السكان تدريجيا وهم الأقباط في

[*]- مستشرق ألماني: (1901- 1983م)، ترجم القرآن إلى الألمانية مع شرح فيلولوجي.

مصر والبربر في عزهما، ومنذ ذلك الحين تعد مصر وبلدان شمال إفريقيا ضمن الشرق ويمتد الاستشراق إلى المسال غرب إفريقيا الذي يسمى بالمغرب أي بلد غروب الشمس، وإن كان المفروض أن اسم الاستشراق يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها، ومهما يكن من أمر فإن الاستشراق يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها، ومهما يكن من أمر فإن الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط والمهم هو الموضوع ذاته. [1]

ينطلق هنا رودي بارت من تعريفه لكلمة اِستشراق من الجذر اللّغوي لها، ويرى أنّ الاستشراق علم قائم بحد ذاته، يختص بدراسة العالم الشرقي حيث قام بتحديد الموقع الجغرافي لمصطلح شرق، ولقد حصر الظاهرة الاستشراقية على البلدان الشرقية دون غيرها.

ويعرف جويدي[*] علم الاستشراق وصاحبه قائلا: "الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنّما هو: "علم الشرق"، بل نستطيع أن نقول إنّ عرض هذا العلم الأساس ليس مقصور على مجرد درس اللّغات أو اللّهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب كلا، بل من الممكن أيضا أن نقول أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي ليس "علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني، وليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللّغات المجهولة أن يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنّما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف الإنسانية، هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن

1- رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نوادكه، تر: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ص: 17-18.

*- مستشرق إيطالي (1886- 1946)، من أعلام دراسة العالم العربي والإسلام، دراساته تدحض فكرة تعميم عن الاستشراق الغربي.

في القرون الوسطى مثلا أو في النهضة الحديثة، وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح "Science de le Spirit" يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية أن يسمى كما أسميناه درس تاريخ الروح الإنساني من جهة الشرق، لأن إظهار قوى الروح واستعدادها يختلف باختلاف الزمان والمكان. [1]

يرى جويدي أنّه لا يجب حصر مجال الإستشراق وهذا الأخير في نظره هو حلقة وصل بين لعالم الشرقي والغربي، والمستشرق في رأيه يجب أن يكون بدراسة تامة بالحضارات القديمة ويدرك العوامل المختلفة التي ساهمت في تكوين الحضارات الحديثة.

ويذكر المستشرق روندنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللّغة الانجليزية نحو عام 1779م، كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية عام 1838م، وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق. [2]

أما مصطلح مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه والمستشرق بالمعنى الخاص هو الذي يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته هذه إذن جملة من تعاريف لعلم الاستشراق والمستشرق من طرف الباحثين العرب ومن طرف المستشرقين، إلا أن بعضهم وخاصة في الوقت الراهن يريدون التوقف عن استخدام مصطلح "استشراق"، فقد قال عنه لويس برنارد أنه حملات تاريخية، ودلالات سلبية، و لم يعد يعني بوصف الباحثين المختصين في العالم الإسلامي. [3]

1- ميكائيل أنجلو جويدي: علم الشرق وتاريخ العمران، مجلة الزهراء، العدد 2، 3، مصر، القاهرة، 1347هـ، ص: 11-12.

2- مكسيم روندنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، لبنان، 1970، ص: 74.

3- عقيلة حسين: المرأة والفكر الإستشراقي، ص: 34.

وكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد بباريس عام 1973م، بأن يستغني عن مصطلح "استشراق"، ويطلق على هذه المنظمة المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا وعارض هذا القرار روسيا ومن يدور فقي فلكها واستخدم مصطلح استشراق في المجد دون تحفظ، ولعل من يريد تغيير هذا المصطلح هو أوربا الغربية وأمريكا وذلك بغيات المستشرق التقليدي، وظهر الخبير الغربي المتخصص في مجال من المجالات السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية واللغوية، وغياب مراكز الاستشراق التقليدية وظهور مراكز بحوث الشرق الأوسط.[1]

وفي ضوء ما ذكر من التعريفات وغيرها ما يضاهيها، يمكننا القول بأن السين والتاء إذا زيدا في الكلمة قصد بها الطلب مثل استغفر طلب الاستغفار، واستنصح أي طلب النصيحة، وكذا استسقى ونحوها، وعليه فالاستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه، واستشرق أي طلب وأراد تعلم ودراسة علوم الشرق وآدابهن والمستشرقون هم قوم من غير الشرقيين أو هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من كافة جوانبه، علومه، تاريخه، أديانه، شعوبه، لغاته، وآدابه...الخ لأهداف مختلفة ودوافع شتى.[2]

ج- نشأة الاستشراق:

لقد اختلفت الآراء في تحديد البداية الحقيقية والفعلية للإستشراق وفي هذا يقول محمد فتح الله الزيادي: «لا يوجد دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة

1- المرجع السابق، ص: 35.

2- إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، ج12، 1421هـ- 2000م، ص: 11.

للاستشراق، فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديدها لبداية الاستشراق...» [1].

فالاستشراق قديم العهد وليس مستحدثا يصعب ربطه بتاريخ محدد «والذين يبحثون في نشأة الاستشراق يمرون بصعوبة تحديد زمن معين، فلقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للإستشراق إلى أحد عشر رأيا بعضها يعطي تاريخا بعينه والبعض الآخر يعطي حقبة أو عصر من العصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، ولبعض الثالث لا يعطي زمنا». [2]

فمن الباحثين من يرجعه إلى الفتوحات الإسلامية على أنّه انطلق من الأندلس في لقرن الثامن من الميلادي، حين دخلها المسمون في عام 711م. [3]

والبعض الآخر يرى أنّه بدأ في القرن العاشر الميلادي من خلال توافد الأوروبيين إلى الأندلس ودراساتهم في الجامعات الإسلامية.

ويمكننا القول أنّ بداية الدراسات العربيّة الإسلامية في الغرب ترجع إلى القرن الثاني عشر حين ترجم القرآن الكريم إلى اللّغة اللاتينية بتوجيه من الراهب بطرس، وكذا ظهور أول قاموس عربي لاتيني وفي القرن الثالث عشر الميلادي بعد انتهاء الحروب الصليبية، ويتفق الأغلبية على القرن الرابع عشر ميلادي هو بداية الاستشراق بعد صدور قرار من مجمّع فيينا الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد كراسي اللّغة العربية في عدّة جامعات أوروبيّة، «ويرى البعض الآخر أنّ البوادر الفعليّة للإستشراق

1- محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص: 62.

2- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص: 14.

3- ينظر: محمد عد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 37.

ترجع إلى حملة نابليون على مصر، فهي مهدت لذلك التأسيس سنة 1798م، حينما قدم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة».[1]

د- دوافع الاستشراق:

وإذا سلطنا الأضواء على الدوافع التي حدت بالمستشرقين للقيام بأبحاثهم ودراساتهم، والظروف السياسية التي أحاطت بهؤلاء المستشرقين، والدول التي ينسب إليها المستشرقون، والعلاقات القائمة بين الدول العربيّة والأوروبيّة، وأحوال العرب السياسية والحضارية والفكريّة، لأمكننا أن نفهم طبيعة الاستشراق، واتجاهاته، ومراميه ثمّ نصدر حكما حقيقيا منصفا صادقا، نقيم به الاستشراق وجهود المستشرقين.

والاستشراق هو نتيجة، ولكن الدوافع تختلف كثيرا تبعا لاختلاف الأزمنة والعصور التاريخية، ولاختلاف العلاقات السياسية والدولية، ولاختلاف البيئات الجغرافية، وتنوع المستويات الحضارية.

إلى جانب الفروق الفردية، فليس كل المستشرقين صنفا واحدا، فهم يختلفون في عقلياتهم ونفسياتهم وصفاتهم، فكان هناك من المستشرقين من أبدى إقبالا وإعجابا على حياة الشرق، وتحمس للحضارة العربيّة تحمسًا كبيرًا، وانعكست هذه الميول والاتجاهات في كتاباته وأبحاثه ومن المستشرقين من اتصف بالتعجب الأعمى، ضد الإسلام والعروبة أو الرق، فكانت كتاباته كلها سهاما مسمومة.[2]

ومنهم أيضا من أبدى إعجابه بالإسلام حتى أنّه اعتنقه وأخلص له، وانعكس ذلك على أبحاثه، فأقبل يخدم هذا الدين وحضارته، بقلمه وفكره، ومن المستشرقين من تأثير بسياسة دولته التي ينتمي إليها، فأصبحت أبحاثه هي صورة لاتجاهات هذه الدولة

1- ينظر: علي الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عدد 111، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970م، ص: 26.

2- حسين الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص: 53.

وأهدافها السياسية والاستعمارية، ومن المستشرقين من هم ضعاف النفوس فأصبحت أقلامهم مأجورة لساسة بلادهم، أو الصهيونية العالمية، ولكن من المستشرقين أيضا، من اتصف بالتعمق العلمي والتفهم الحقيقي، والانصاف الواقعي، ومنهم من كرّس حياته ووقته وجهده للإستشراق يدرس العلم للعلم، ويبحث عن الحقيقة أينما كانت.[1]

وفي هذا يقول الأستاذ نجيب العقيقي: «فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسيّة بدول الشرق والاعتراف من تراثها، والانتفاع بثرائه، والتزاحم على استعمار، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار وترجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللّغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية».[2]

1- الدافع الديني: يكاد ويجمع جمهور الباحثين في موضوع الإستشراق على أنّه بدأ بهدف ديني محض، نشأ إثر شعور المسيحيين بالخطر نتيجة الانتشار السريع والواسع للإسلام، ثمّ ازداد هذا الشعور قوّة أثر فشل الصليبيين في حملاتهم العسكريّة ضد المسلمين الأمر الذي جعلهم يفكرون في غزو من نوع آخر يثأرون به لهزيمتهم العسكريّة ويحققون به سيطرة فكريّة من شأنها أن تساعد في وقف التيار الإسلامي وذلك عن طريق إعطاء صورة خاطئة عن الإسلام، تشكك المسلم في دينه وتبعد غير المسلم عن التفكير في اعتناق الإسلام.

1- حسين الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ص: 53.

2- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج3، 1964/ 1965م، ص: 1149.

غير أنّ الإستشراق أثناء رحلته التاريخية الطويلة مرت عليه عوامل أخرى غيرت أهدافه تبعا لتغيير هذه العوامل، فنجد أنّه في تاريخ الاستشراق يبرز كل من الدافع الاستعماري، والدافع الاقتصادي والدافع السياسي وأيضا الدافع العلمي. [1]

2- الدافع الاستعماري: اشتغل فريق من المستشرقين بهذا المجال (الاستشراق) مدفوعين من قبل حكوماتهم التي دعتهم إلى معاونتها في استعمار الشرق فكانوا عونا لها مخلصين في تقديمهم المعلومات التي احتاجت إليها وهي في طريقها إلى اجتياح الشرق معلنة الهيمنة عليه لفترة من الزمن تعين على امتصاص خيراته، وعلى إيجاد البديل عند الخروج، وعلى إضعاف مكامن الخطر بالنسبة إليهم.

وعمل هذا الفريق من المستشرقين في وزارات الخارجيّة والحربيّة والاستعمار مستشارين مسموعين الرأي والنصيحة، لهم أثرهم البارز في الحركة الاستعمارية وكافأتهم حكوماتهم بأن طورت من عملهم. [2]

والخلاصة أنّ للاستشراق دوافع وأسباب وبواعث، وبطبيعة الحال كان الدافع الديني هو الدافع الأول والأساسي من وراء الظاهرة الاستشراقية ثمّ تتوالى الدوافع الأخرى سواءً كانت سياسية أو استعمارية اقتصادية إلى غير ذلك من الدوافع.

ونافلة القول أنّ الدافع العلمي هو الدافع التريه من بين تلك الدوافع الذي أخذ مكانته ولا يزال قائما إلى اليوم.

3- الدافع العلمي:

ويبدو لي من خلال معايشة الحركة الاستشراق بوجه عام أنّ الهدف العلمي من وراء دراسة القرآن الكريم والتراث العربي قد يشكل أسلم الدوافع وأنبل الأهداف ترجيحا لدي، فكثير من هؤلاء المستشرقون لمسوا في اللّغة العربية لغة ثقافة وأدب

1- الزيادي محمد فتح الله: ظاهرة انتشار الإسلام ومواقف المستشرقين منها، ص: 76.

2- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربيّة، ص: 38.

وحضارة، ووجدوا القرآن في الذروة من هذه اللّغة، فحدبوا على دراسته بدافع علمي محض تحدو به المعرفة، وتصاحبه اللّذة، فأبقوا لنا جهودا عظيمة مشكورة.

وهذا الحكم لا يؤخذ على عمومه، ولكنّه الأعم الأغلب، وسواء شاذ، والشاذ لا يقاس عليه. ولكن الهدف العلمي- مهما كانت الضمائم- هو الهدف الأسمى لأغلبية هؤلاء المستشرقين. [1]

4- الدافع السياسي: يرتبط الدافع السياسي بالدافع الاحتلالي، وإن كان الدافع الاحتلالي قد توقّف مع التوقف الفعلي للاحتلال بالطريقة التي طان عليها إلاّ أن الدافع السياسي للإستشراق لا يزال قائما، ولا يزال رؤساء الدول وحكوماتها تستعين بالمستشرقين في رسم سياساتها نحو البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد الشرق. [2]

وهناك الدوافع النفسية والتاريخية والشخصية، وغيرها من البواعث الثانوية قد تتحقق في فرد أو في أفراد، دون أن تتحقق في فرق أو في مجموعة من المستشرقين. [3]

ويمكننا ان نركز الدوافع التي دفعت بالمستشرقين إلى الاستشراق، في ثلاثة دوافع رئيسية، يتفرع منها دوافع ثانوية، وهذه الدوافع الرئيسية، دينية واستعمارية، وعلمية. [4]

1- محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420 هـ- 199م، ص: 18.

2- علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 73.

3- ينظر: أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص:

4- المرجع السابق، ص: 54.

المبحث الثاني: مفهوم الرؤية

1- مفهوم الرؤية:

بعد العودة إلى معاجم اللغة وغريب القرآن، تبيّن لنا أنّ مصطلح الرؤية يحمل في طياته عدّة معان ودلالات ولمعرفة هذه الأخيرة نطرح السؤال التالي: **ما مفهوم الرؤية؟**

أ- الرؤية لغة:

جاء في لسان العرب: الرُّؤْيَة بالعين تَتَعدى إلى مَفْعُول واحدٍ، وبمعنى العلم تتعدّى إلى مَفعُولَين، يقال: رَأَى زَيْدًا عَالِمًا وَرَأَى رَأْيًا وَرُؤْيَةً وِرَاءَةً، مثل رَاعَهُ، وقال ابن سيدة: الرُّؤْيَة النظر بِالعَينِ وَالقَلْبِ، وحكى ابن الأعرابي: على رِيَّتِكَ، أي رُؤْيَتِكَ، وفي ضَفَةُ، وحقيقتها أنّه أراد رؤيتك، فأَبْدَلَ الهمزة واو إبدالا صحيحا، فقال رُوَيتِكَ، فقال: رُيَّتِكَ، ثم كسر الراء لمجاورة الياء فقال ريّتك.

وقد رَأَيْتُه رَأْيَةً ورُؤْيَةً، وليست الهاء في رَأْيَةٍ هنا للمرّة الواحِدَة إنّما هو مصدر كَرُؤْيَةٍ إلاّ أن تُرِيْدَ المَرَّة الواحِدة فَيَكُون رَأَيْتُهُ رَأْيَةً كقولك ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً، فأمّا إذا لم تُرَدْ هذا فَرَأْيَةٌ كَرُؤْيَةٍ ليست الهاء فيها للوِحْدَة. [1]

أمّا في مختار الصحاح فنجد: الرُّؤّيةُ بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين و(رَأَى) يَرَى ورَأْيًا وَرُؤْيَةٌ وَرَاءَةٌ مثل رَاعَةٍ. [2]

أمّا في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس: (رَأَى)، الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، فالرَّأْيُ: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآرَاءُ، رَأَى فلانٌ الشيء ورَاءَهُ، وهو مقلوبٌ.

1- ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، المجلد السادس، ط1، د ت، ص: 722. (مادة رأى).

2- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي: مختار الصّحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414 هـ- 1994م، ص: 205 (مادة رأى).

في معنى رَأَيْتُهُ وتَرَاءَى القوم، إذا رَأَى بعضهم بعضا، ورَاءَىَ فلان يُرَائِي، وفعل ذلك رِئَاءُ النّاس وهو أن يفعل شيئا ليراه النّاس.

والرُّوَاءُ: حسن المنظر، والرؤيا معروفة، والجمع رُؤًى. [1]

الأول: (النظر بالعين): التي هي الحاسّة وما يجري مجراها، ومن الأخير قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ**﴾[2]

فإنّه مما أجرى مجرى الرؤية بالحاسة، فإنّ الحاسة لا تصح على الله تعالى، وعلى ذلك قوله: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[3]

والثاني: بالوهم والتخييل نحو: رأى زيدًا منطلقًا.

الثالث: بالتفكير نحو: ﴿**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ** ﴾[4]

الرابع بالقلب: أي العقل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[5]

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت: 538 هـ): رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي رُؤْيَةً ورَأَيْتُهُ في المنام رؤيا. [6]

ونجدّ في التهذيب: "يقال رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي رُؤْيَةً، ورَأَيْتُهُ، رَأْيَ العَيْنِ أي حيث يقع البصر"[7]

1- ابن فارس: مقاييس اللّغة، ت، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ- 1979 م، ج2، ص: 473.

2- سورة التوبة، الآية 105.

3- سورة الأعراف، من الآية 27.

4- سورة الأنفال، من الآية: 48.

5- سورة النجم، الآية: 11.

6- الزمخشري: أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص: 326.

7- الأزهري: تهذيب اللّغة، تح، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج 15، ص: 227.

كما نجدّ في التعريفات للجرجاني (ت 816): الرُّؤيــةُ: المشــاهدة بالبصــر حيــث كان أي في الدنيا والآخرة. [1]

وجاء في المفردات في غريب القرآن: رَأَى: رُؤْيَــةً إِدْرَاكُ المَرئــيُّ، وذلــك بحســب قوى النفس. [2]

ولقد توسعت بعض المعاجم الحديثة في تحديد معاني ودلالات الرؤية.

فنجد في المعجم الفلسفي لإبراهيم مدكور عرفت الرؤية علــى أنّهــا "فعــل الحــسّ البصري وتطلق الرؤيا على الإدراك لما هو روحاني ومنه لوحي والإلهام وتلتقــي بهــذا مــع الحلم. [3]

كما نرى في المعجم الفلسفي للدكتور صليبيا والــذي جــاء فيــه: "الرؤيــا: مــا يرى في المنام وجمعه رُؤَىً، فقد يطلق لفظ الرّؤى على أحلام اليقظة والفــرق بــين الرؤيــا والرّؤية، أنّ الرّؤية مختصة بما يكون في اليقظة فالرؤيا بالخيــال، والرّؤيــة بــالعين والــرأي بالقلب، ومنه رؤى المصلحين الاجتمــاعيين، وأحــلام الفلاســفة، وإذا أطلقــت الرؤيــة على المشاهدة بالنفس سميّت حدسا، وقد تطلق الرّؤية على مشــاهدة الحقــائق الإلهيــة، او على المشاهدة بالوحي، أو على الإدراك بالوهم، أو المشاهدة بالخيال. [4]

1- الجرجاني: التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باســل عيــون الســود، دار الكتــب العلميــة، بــيروت- لبنان، ط2، 1424 هــ- 2004م، ص: 112.

2- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح، صفوان عــدنان الــداودي، دار القلــم الشــامية دمشــق، بيروت، ط1، 1412هــ، ج1، ص: 374.

3- إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1913، ص: 90.

4- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزيــة، دار الكتــاب اللبنــاني، بــيروت- لبنــان، لبنان، 1982م، ج1، ص: 605- 606.

ب- مفهوم الرّؤية اصطلاحا:

أمّا الرّؤية في معناها الاصطلاحي:

يقول الجرجاني: الرّؤية هي المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة. [1]

وعرفت بأنّها: "النظر بالعين والقلب". [2]

ويمكن تعريف الرّؤية اصطلاحا بأنّها عبارة الإدراك بالبصر للأشياء الظاهرة والمحسوسة، او البصيرة، وهي نور في لقلب يدرك به الحقائق والمعقولات والأمور المعنوية حيث يكون القلب مشحونا باليقين والإيمان. [3]

الرؤية في الاستعمال القرآني:

ورّد الجذر (رَأي) في القرآن الكريم (328) مرّة، يخص موضوع الرّؤية (316) مرة. [4]

وذلك بصيغ الفعل الماضي، الفعل المضارع، الصفة المشبهة، والمصدر السماعي، وجاءت الرؤية في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه. [5]

ج- الفرق بين الرّؤية والرؤيا:

معظم المعاجم اللّغوية تشير إلى أنّ الرؤيا (بالألف) هي ما يراه الإنسان في نومه أو منامه، وأنّ الرّؤية (بالتاء) تشير إلى الإبصار أو بمعنى النظر بالعين الجارحة، وهناك من أشار إلى أنّها تكون بالعين والقلب، ورأى في منامه رؤيا على فُعلى بلا تنوين وجمع للرؤيا ورؤى بالتنوين. [6]

1- الجرجاني: التعريفات، ت، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، ص: 94.

2- ابن منظور: لسان العرب، ج 14، ص: 291.

3- الرّازي: مفاتيح الغيب، 327/ 11، تفسير العشراوي، 8/4541.

4- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص: 280- 285.

5- ينظر: الدامغاني: الوجوه والنظائر، ص: 244- 245.

6- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1401هـ- 1981م، ج6، ص: 2349.

أمّا الشيخ علي أكبر النجفي بيّن الفرق بين الرؤية في اليقظة والرّؤيا في النوم قائلا: "إذن رؤية الشيء في اليقظة هو إدراكه بالبصر حقيقة ورؤيته في المنام هو تصوره في القلب على توهم الإدراك بحاسة البصر من غير أن يكون كذلك. [1]

كما انتشر التمييز بين الرؤيا والرؤية في الفكر العربي المعاصر، فنجد أدونيس يقول: والفرق بين رؤية الشيء بعين الحس، ورؤيته بعين القلب، هو أن لرائي بالرؤية الأولى إذا نظر إلى الشيء الخارجي يراه ثابتا على صورة واحدة لا تتغير، أمّا الرائي بالرؤية الثانية فإن نظر إليه يراه لا يستقر على حال وإنّما يتغير مظهره، وإن بقي جوهره. [2]

في حين يرى صلاح فضل أنّ التمييز بين الرّؤية والرؤيا يكون لغويا على اعتبار أن الأولى من فعل الإبصار أما الثانية من فعل التخييل في الحلم. [3]

كما نجد هذا التمييز في النحو العربي، فكل من الرؤيا والرؤية مشتقة من الفعل رأى، فإذا كان يفيد الرؤيا في المنام ويعبر عنها بـ: "رأى الحلمية" فينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ أو خبرا، نحو قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4]

فالياء: مفعول به أول، وجملة "**أَعْصِرُ خَمْرًا** " في محل نصب مفعول به ثان.

1- علي أكبر النجفي: التحفة النظامية في الفروق الإصلاحية، دار المعارف النظامية، القاهرة، ط1، 1312هـ، ص: 102.

2- أدونيس: الثابت والمتحول، ج3، دار العودة، بيروت، ط1، 1978، ص: 168.

3- صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1998م، ص: 159.

4- سورة يوسف، الآية 36.

أمّا إذا أفاد الرؤية البصرية بالعين، وكان الفعل مأخوذا من الرأي، فحينئذ ينصب مفعولا به واحدا، نحو رأى الطالب الكتاب على المقعد. [1]

د- الرؤية في المفهوم النقدي:

يعد مصطلح الرؤية من المصطلحات الغامضة في النقد الحديث وذلك نتيجة لتركيبته اللّغوية التي تشير إلى ما هو حسي بخلاف دلالته الاصطلاحية التي ترتبط بالحسي والمجرد معا، وهو ما لم نعدمه في مصادرنا ومعاجمنا القديمة، هذا زيادة على تعدد معانيه واختلافها بين مذاهب النقد الحديث، والخلط بينه وبين مصطلحات قريبة منه صوتيا ولغويا إذ تجدر الإشارة هنا إلى مصطلح "الرؤيا حيث نجد بعض النقاد يستعملون المصطلحين معا في نفس السياق دون التمييز بينهما فالرؤية أو الرؤيا لا فرق في المقصود، فكلا المصطلحين يعني الدلالة نفسها. [2]

ثم إنّ كل مبدع يقوم بصياغة العمل، وتشكيله على النحو الذي يراه مناسبا لموقفه وتعبيره عن رؤيته فلا فرق بين موقف النقاد الذين اهتموا بمصطلح "رؤيا" والنقاد الذين اهتموا بمصطلح رؤية، لأن كلا من الطرفين ينظر إلى المصطلحين بنفس المنظور ولهذا، أو إعادة صياغتها وفق معيار خاص بكل مبدع. [3]

1- كلفالي سميحة: الرؤيا الشعرية ومرجعياتها عند أدونيس، مجلة قراءات، العدد العاشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات (مخبر التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها)، نوفمبر (2017م)، ص: 30.

2- ينظر: يحي عبابنة: الرؤى المموهة قراءات في ديوان عوار (عيشات وادي اليابسي)، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م، ص: 33.

3- سامح الرواشدة: منازل الحكاية (دراسات في الرؤية العربية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م، ص: 68.

المبحث الثالث: نقد الاستشراق

أ- موقف النقاد العرب من الاستشراق:

سنتحدث في هذا المبحث عن العلاقة بين النقد والاستشراق ومقاصد النقاد وما قدموه اتجاه الاستشراق، فتعد المقاصد التي انطلق منها نقد الاستشراق من الناحيتين الإيجابية والسياسية «إن ظهرت بعض المبالغات في المدح والقدح،...إلاّ أنّه يمكن القول إن الغيرة على الدين في كلّ زمان والعروبة في زمان الضخّ القومي، كانتا هما القاسم المشترك بين الذين قللوا من شأن الاستشراق، حتى أضحى نقد الاستشراق جزء من محاولات حماية الدين والعربية من الغزو الثقافي الفكري»[1]، وقد «انطلق مفهوم نقد الاستشراق في بداية النهضة العربية عندما لاحظ المفكرون العرب والمسلمون دخول عنصر الاستشراق، بقوة في دراسة التراث العربي الإسلامي، فكان الانبهار بهذه الجهود العلمية التي يخدم بها المستشرقون تراثا غير تراثهم، لا ينتمون إليه، ويكاد الإعجاب من قبل المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين يطغى على الإسهامات الأولى في انطلاقه نقد الاستشراق حتى قبل أنّ المستشرقين قد فهموا الإسلام أكثر من فهم أهله له !»[2].

وهنا يمكن القول أن نقد الاستشراق بمثابة ردّ فعل اتجاه ما قدمه الاستشراق من تصريحات كاذبة ومغالطات مقصودة، حيث نلاحظ ما أنتجه الاستشراق هو كاف لإثارة تلك الغريزة الدينية والنزعة الإيمانية القومية التي تنبع في كل شخص مسلم لأن ما سعى إليه الاستشراق ليس بالأمر الهين الذي يمكن أن تتغاضى عنه، ومع هذا انقسم النقاد إلى ثلاثة أقسام أو أصناف «فمنهم من سعى، إلى التوسط وابتعد

1- عبد الإله بلعزيز: العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين، مركز الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ص: 31- 32.

2- علي بن إبراهيم النملة: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربيّة، بيسان للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر 2010م، ص: 15.

عن التعميم إيجابا أو سلبا، وأكدّ على أنّ المستشرقين ليسوا سواء»[1]، أخذ هذا الموقف موضع الوسط لكن يوجد موقفين متضاربين أحدهما أخذ موقف الانبهار «نتيجة عن تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذي لا يستطيع فيه المتأثر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين، فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام يرضى عنه الغرب ويكون مقبولا عندهم»[2].

«ويسعى أصحاب المواجهة الإيجابية إلى الاعتراف بفضل بعض المستشرقين على تراث المسلمين وبخاصة المخطوطات من حيث حفظها وصيانتها وتكثيفها ورصدها في قوائم تعين على الوصول إليها أينما كانت»[3]، ويقصدون بهذا أن الاستشراق له فضل في نشر وتحقيق بعض مخطوطات وبث الشك بين المسلمين ودينهم، فعند مقارنة ما قدمه علماءنا من ترجمة واستكشاف نجد أن علماءنا العرب يضاهونهم وهذا ما أكده نجيب العقيقي في قوله: «ولو وازنا بيّن عناية المستشرقين بتراثنا واكتشافه وتحقيقه وما قمنا نحن به في سبيله لرأيناها تكاد تكون متساوية ولو وازنا كذلك في ترجمة أحد المستشرقين وآثاره وبين ترجمة أحد أعلامها وآثاره لوجدناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب، وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون المستشرقين ولغربيين على ما في تراثنا في ثراء، ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتى اللغات، منذ أن ألف عام وفي كل مكان لاحتجنا إلى استئجار مواهب مئات العلماء ومناهجهم ومعارفهم ودقتهم...طوال حياتهم».[4]

1- ينظر: أحمد محمد جمال: المستشرقون ليسوا سواء، المنهل، مجلد 55، العدد 481، 4 ماي، 1989م، ص: 218.
2- المصدر السابق، ص: 221.
3- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص: 205- 206.
4- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، مجلد3، 1970م، ص: 605- 606.

يبدو أن في هذا الموقف استسلاما كليا لأفكار الغرب وتشبع بها وتقلبها والدفاع عنها والانسلاخ من الدين الإسلامي والترعة القومية وارتداء لباس الغرب بأفكار ومعتقدات نصرانية ومآهلة بدقة.

أما الموقف الذي كان لديه حضورا قويا وكان رافضا لما اتى به الاستشراق رفضا مطلقا جازما لا رجوع فيه «فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بإسلام، لم يقبلوه على أنه حجة وعلى أنه يقدم جديدا في المفهوم حتى جاء من باب الإطراء والمديح... »[1] بزعمهم «مازالوا يصرون على تسويه الإسلام وتزييف حقائقه، وان التسامح الذي أظهره بعض كهنة النصارى يدعوا إلى التفاؤل على الرغم من أن موقفهم المتسامح لم يكن بصورة مباشرة من وحي هؤلاء المستعربين أو من خبراء الإسلام»[2]، «إن ما أسهم به المستشرقون، إنما هو ضرر كله لا خير فيه»[3]، لأنه يُعد شكل من أشكال الخداع والمكر وهو طريقة غير مباشرة والتي تتشابه مع الاستعمار والتنصير حيث كل منهما يدعم الآخر ويصبون في نهر واحد لا اختلاف فيه «ولاشك فيه علاقة وطيدة بين الاستشراق والاستعمار من جهة وبين التنصير من جهة أخرى»[4].

1- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية، ص: 210- 211.

2- عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، دراسة نقدية، الرياض، 1991، ص: 159- 160.

3- ينظر: حسين الهراوي: ضررهم أكثر من نفعهم، لهلال مجلد، 42، العدد 2، أوت 1352هـ، ص: 324.

4- علي بن إبراهيم النملة: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، التوباد مجلد 1، عدد 4، 1999م، ص: 38- 42.

ب- موقف المستشرقين من الاستشراق:

وهذا بالنسبة للمواقف العرب من الاستشراق لكن للمستشرقين أنفسهم لهم رأي حول الاستشراق ما سعى إليه اتجاه الإسلام فصرح، المستشرق البريطاني مونتغمري وات في محاضرة حيث يذكر «أنّ الأوروبيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين، ولذلك عمد مفكروهم إلى تشويه حقائق الإسلام فعرضوا الإسلام، وتاريخ المسلمين في صورة منفردة، ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص، كما كان الحال في عصر النهضة، وذلك بعد أن انتقل زمام السيادة إلى أوروبا، أصبحت لها السيطرة والغلبة، ولذا أصبحنا الآن لا نجد حرجا في ذكر الحقائق من دون تحريف، وبالتالي ظهر الإنصاف والموضوعية فيما نكتب عن الإسلام والمسلمين»[1]، وكما يذكر المستشرق الألماني ألديش هارمان[*] «أنّ الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام 1919 أقل براءة وصفاء نية، فقد كان كارل هينديريش بيكر[*]وهو من كبار مستشرقين منغمسا في النشاطات السياسية حتى أصبح في عام 1914 شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في إفريقيا والهند كدرع سياسة في وه البريطانيين».[2]

ونرى في هذا قول مدى قوة وتركيز المستشرقين على الإسلام والتصريح بنيتهم الحقيقية اتجاه الإسلام ومخططات التي بذلوها من أجل إضعاف قوته.

وقد انتقد مكسيم رودنسون بعض المستشرقين على قصور رؤيتهم وانحيازهم ورؤيتهم للشرق فهم يرون ما يرغبون برؤيته ويجحدون ما يريدون إخفاءه يقول:

1- محمد عبد الفتاح عليان: أضواء على الاستشراق، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م، ص: 11.

[*]- أولريش هارمان: مولود سنة 1992، تعلم في الولايات المتحدة جامعة برنشون ركز على تاريخ مصر الإسلامية، حاضر في الولايات المتحدة ومصر وكندا وألمانيا.

[*]- كارل هندريش بيكر (1867- 1933): ولد في أمستردام، عيّن أستاذ للغات الشرقية في هامبورج، ركز على العلاقات في النصرانية مع المسلمين، له آثار عديدة.

2- رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، 1967م، ص: 29.

«ولم يرى المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيرا بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا، يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه»[1]، فكان الغرب في زيارتهم لشرق يخفون ما يكتشفونه من حقائق ويحتفظون بتلك الصور السابقة عنهم فلا يغيرونها برغم من كشفها لهم أثناء تلك زيارات، كأنهم يريدون تشويه وقتل معالم الشرق وإحياء معالم جديدة تتناسب مع أهوائهم وهذا ما يؤكده بريستيد في قوله عن المستشرقين «يريدون قتل حضارة الشرق عمدا لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة»[2].

وأن أروبا تمتلك كما هائلا من معلومات عن رسالة المحمدية لكنها تسعى إلى تشويهها وتغليطها ويبقى المستشرقون يكتشفون حقيقة الاستشراق، وما يسعون إليه من تشويه ونشر صورة سوداوية ضد إخفاء كل الحقائق الجوهرية عن الإسلام.

1- محمد حميدي زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي، دار القلم، الكويت، دط، 1971م، ص: 116.

2- ينظر: بريتشيد: انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969م، ص: 308.

ملخص الفصل الأول:

لقد تناولنا في الفصل الأول مفهوم الاستشراق بشكل عام، وهو التطلع على أمجاد ومآخذ دول الشرق من قبل الغرب، وأوردنا أراء بعض العلماء الذين حاولوا تحديد مفهوم الاستشراق كل حسب إيديولوجيته وكذا عرّجنا على نشأة الاستشراق، فلا يمكن ربط نشأته بتاريخ محدّد، فلقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للظاهرة الاستشراقية بين من يعطي تاريخا بعينه، وبين من يعطي حقبة أو عصر من العصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، وبعض آخر لا يعطي زمنا.

وكذا استعرضنا أهم دوافع الاستشراق، فقد اختلفت البواعث بين دوافع دينية وأخرى استعمارية، وكذا علمية وسياسية، وتطرقنا كذلك إلى الرؤية النقدية وضوابطها، ولقد تعددت الدراسات التي تناولت الظاهرة الاستشراقية، وجاءت في أساسها دراسات نقدية، فقد اتشغل الفكر العربي الإسلامي بهذه الظاهرة، وتعددت مناحي التناول، وبذلك اختلفت الرؤى لهؤلاء في نقدهم للاستشراق.

أما في الفصل الثاني من المذكرة نحن بصدد إعداد دراسة تطبيقية نستعرض فيها الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق.

الفصل الثاني:

الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بوخالفة.

المبحث الثاني: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق.

جدلية "الآنا والآخر" من أهم القضايا التي تناولتها الرواية العربية عامة، روايات أمين معلوف خاصة، فكانت هذه الثنائية بارزة في أعمال الروائي الفرانكفوني، فجسدت لنا هذا الروايات الصّراع الدائم بين الشرق والغرب، فذلك الصراع لم يكن وليد اليّوم أو اللّحظة، بل كان من فجر التاريخ، فجذور الجدل بين الآنا والآخر تعود إلى الفترة التاريخية منذ ظهور الإسلام وما صاحبه من معوقات وعقبات خلال انتشاره عبر الأمصار، فاصطدام بمذاهب دينية ولدت صراعا متناميا إلى حاضرنا.

فأمين معلوف اتجه في كتاباته نحو المواضيع الجدلية والأكثر توترا في صلة الآنا بالآخر.

وفي هذا الفصل سنحاول الكشف عن أهم الرؤى التي خرج بها الناقد إبراهيم بوخالفة من خلال دراسته لست روايات للروائي الفرانكفوني أمين معلوف.

فمن أهم الإشكالات التي حاول الناقد الإجابة عنها في كتابه أطياف الاستشراق، ومن خلال دراساته لروايات أمين معلوف المتتبع بالقيم الأوروبية.

هل تمكن الروائي من خلال رواياته أن يغيّر موقف وصورة الغرب من العرب والمسلمين؟.

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بوخالفة

الاسم واللقب: إبراهيم بوخالفة

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة.

أ- الشهادات العلمية:

البكالوريا (تونس).

الليسانس: أدب عربي جامعة الجزائر.

الماجستير في الأدب العربي.

الدكتوراه من جامعة الجزائر في الأدب العربي.

المؤلفات:

- أطياف الاستشراق، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018.
- صناعة الشرق، دار الفكر العربي، الجزائر، 2018.
- سلطة الآخر، نور للنشر، ألمانيا، 2019.
- انحطاط العالم، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة.
- تمثيل العالم، رؤيا للنشر والتوزيع، 2019.
- مملكة السرد، رؤيا النشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- معارك المسرح، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

ب- قيد الطبع:

التفكير في الاخر تحت الطبع لدى دار الفكر العربي، برخ البحري، الجزائر، التاريخ يتكلم، دار الشباب، الجزائر.

ج- المقالات المنشورة:

الرحلة، حوليات الجزائر، جويلية، 2017.

- رؤية العالم في رواية رأس المحنة لعز الدين جلاوجي، دراسات معاصرة، أفريل، 2017.

- النقد الاجتماعي في رواية (قهوة سادة للسيد حافظ)، مجلة بدر، 16-03- 2018.

- انحطاط العالم، مجلة بدر، 10/ 04/ 2018.

- المثقف والسلطة في قصص السيد حافظ، حوليات بشار، 26/ 04/ 2018.

- بلاغة الخطاب الكولونيالي في رواية (فصل الليل على النهار) لياسمينة حضرا، مجلة اللغة العربية وآدابها، 2018/07/22.

- الأنوثة المضطهدة، مجلة المعيار، 2019/01/05.

- نظرية الأجناس الأدبية، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات 2019/03/18.

- نظرية القراءة وجماليات التلقي، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، 2019/06/19.

- الصورة الذهنية في أدب الإحالة الغربيين، مجلة الجديد، لندن، جوان 2019.

- الأدب العالمي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، برلين جوان، 2019.

- انهيار السرديات الكبرى، الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي، برلين، أوت 2002..

د- الملتقيات:

العديد من الملتقيات الدولية والوطنية خلال السنوات 2017- 2018.

- عضو المجلس العلمي بجامعة تيبازة حاليا.

المبحث الثاني: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق

أ- الرؤية النقدية في الفصل الأول لكتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة:

إنّ الصورة التي تبناها من الغرب من الشرق ما هي إلاّ صورة رسموها بأنفسهم ثم ألبسوها للشرق فلم يحاولوا الغوص في أغواره ومآثره وكشف جوهره بل اكتفوا بنظرهم له فقط هنا تربت المغلطات في رحم الغرب وبث سمومه في عقول الناشئة سعيا منه إرساخ تلك الثقافة الدونية والرجعية ولسلطية القاتلة على العالم العربي والإسلامي بدأت بوادر تلك السموم في القرن الثامن عشر بظهور الحداثة جاءت كنور ساطع على الغرب ليتحول من ظلمته وهيمنته للكنيسة إلى ثورة وتحرر منها هناك شهد العقل صوتا مسموعا وبدى صوت الكنيسة يتنافر شيئا فشيئا حيث عرّفها الشاعر الفرنسي بودلير الذي يعتبر الأب الروحي لها حيث يقول «ما أعنيه بالحداثة هو العابر والهارب والعرضي إنّما نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدي الثابت»[1].

وهنا يمكن القول أن انطلاقة الحقيقة لما هي الثورة الفرنسية التي تعتبر بؤرة التحديث موقفها نحو التحرر من قيودها الماضي وسيطرة الكنيسة إلى تمتع بالثقافة الحاضر وكسر تلك القيود، فمن خلال هذا البيان التمهيدي الذي قدمه إبراهيم بوخالفة حاول التعريف ببعض المصطلحات كالقومية فاعتبرها لا ترتبط بظواهر سياسية بل تتعدى ذلك فهي تتعلق بالهوية الثقافية «يفكر منظرو الفكر القومي للقرنين الثامن عشر والتاسع إلى أعرف الحضارات البشرية وأنقى العروق إطلاقا، مع التأسيس لنظرياتهم تلك بما توصلت إليه أبحاثهم العلمية في العلوم الإنسانية والأنثروبولوجية ذات العلاقة».[2]

---

[1] - إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، تشكلات الآخر في رواية أمين معلوف، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م، ص: 08.

[2] - المصدر نفسه: ص: 21.

ثم تطرق إلى مصطلح آخر هو الإنسانوية الذين يشككون في الآلهة ووجود الملائكة والشياطين وهم علمانيون يفصلون الدين عن الدولة، حيث لاحظ إبراهيم بوخالفة «أنّ لكل ما هو مألوف ومستساغ من الناحية الأخلاقية والمعرفية والجمالية على حد سواء»[1]، كما صرح أن الإنسانوية هي صراع بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية تأكيد على تمتع الإنسانوية بالفردية ورفض السلطة الكنيسية ودنيوية الفعل البشري واقتصارها على المظهر المادي للوجود الزمان والمكان، ثم تطرق بوخالفة إلى إنسانوية والآخر يقصد بالآخر ما يلازم الآنا ويعني ضرورة وجود الآخر في حياة الآنا يعتبر وسيلة إدراك له بحيث "الآنا يمثل الغرب والآخر يمثل المشرق فيعتبر الغرب أن لهم الحق في إخراج المشرق من دارة التخلف فأعطى مثالا على ذلك احتلال فرنسا الجزائر زعمت أنها تريد انتشالها من الوضع المتآزم والمتخلف الذي آلت إليه وبدعوة منها إلى التحضر، واستند في ذلك على «ينظر كارل ماركس إلى الاستعمار باعتباره الأداة غير الواعية للتاريخ من أجل تغيير الشعوب الراكدة، إن الدمار الذي لحق بالشعوب المستعمرة في تشكيلاتها الثقافية وبنياتها الاجتماعية هو الثمن المناسب لعملية التحضير»[2]، ثم اعتبر الكونية نظاما فلسفيا ينظر لمشروع مجتمع إدراج كل دول العالم ضمن نظام سياسي واحد يقول هوسرل: «إن الشعوب تتجمع حتى حالة سيادة العداء فيما بينهما على شكل نماذج ذات "موئل" إقليمي وقرابة عائلية كما هو حال شعوب الهند، لكن أوروبا وحدها هي التي كانت رغم المنافسة القائمة بين أممها تطالب نفسها والشعوب الأخرى بالحض على الأوروبية والاستزادة منها بصورة توصل الإنسانية جمعاء إلى المطابقة مع ذاتها داخل هذا الغرب».[3]

[1] – إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 29.

[2] – المصدر نفسه: ص: 33.

[3] – تودوروف تيزفيتان: نحن والاخرون، دار المدى، دمشق، ط1، 1999، ص: 240.

وهذا يعني بقاء الدول ملتزمة بالتواصل مع بعضها برغم من درجة الاختلاف بدافع وحدة الإقليم أو وحدة المصير أو وحدة المصالح ثم تطرق إلى النزعة العرقية اتخذها إبراهيم بوخالفة أنها مصطلح يستخدم لتصنيف البشر إلى مجموعات متمايزة جسمانية وبيولوجيا ووراثية، وثم هذا التصنيف من فرضية انقسام البشرية بين الهجينة والنقية فإن الأصل العرقي يحدد سلوك الاجتماعي والثقافي وتعد العنصرية محل اهتمام الباحثين وخاصة العرق الأسود باعتباره يقع في أقل أدنى مراتب العرق كان هذا التصنيف ليس على حساب شكل بل لمعايير أخرى حيث يقول إبراهيم بوخالفة أن الاختلاف بين التجمعات البشرية والميزة الجسدية المختلفة يؤكد أن هذه الاختلافات هي الحدّ الفاصل في تحديد الأعراف وتقريب بينهما ثم تطرق في ذلك إلى ما بعد الحداثة أو التفكيك فهي حركة ظهرت في أواخر الستينات من القرن الماضي معارضة على أحادية الرؤية الحداثية الشمولية لكون «إنما بعد الحداثة آلة لا تحسن إلا الدوران إلا فهي لا تعرف الثبات والتحرر ولا التنميط والتشكل، إن هو إلا الهروب إلى الأمام تماما مثل الإنسان المعاصر الذي لا ينئ للهث وراء الموضة»[1]، امتازت هذه الحركة بالتنافر والاختلاف كعاملي تحرير في إعادة تعريف الخطاب الثقافي فالآمال التي كانت مفقودة على الحداثة نحو التطور وازدهار آلت بالفشل بل تحولت إلى حروب أهلية.

وهنا قد تعرضنا إلى خصائص الحداثة التي تطرق إليها إبراهيم بوخالفة بانها أولت للعقل اهتماما كبيرا جدا في مجال المعرفة ثم تطرق إلى المركزية الغربية التي تعد ظاهرة نفسية طبيعية، كانت أوروبا تمثل قائدة القافة البشرية ورائدة في صناعة الحضارة وترسيخ القيم مع العوامل التي أهلتها لذلك.

[1] – إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 49.

«اللغة اللاتينية والأدب القديم واحتوائها على طبقة المثقفة والطبقة الحاكمة والعتبات الأولى للشرق الأقصى في القرن الثالث عشر»[1]، ومن العوامل التي ساهمت في مركزية أروبا الكشوفات الجغرافية الكبرى والثورة الفكرية حيث يقول هيغل «في أوساط المتمرنين يسعى الإنسان إلى إعلاء كلمته بالثقافة الروحية وذلك لأن تغيرات الشكل والسلوك وسائل المظاهر الخارجية لا تكون من نتاج الثقافة الروحية إلا لدى المتدنين ووحدهم».[2]

حيث عملت أوروبا على نشر الديانة المسيحية تزعم فيها أنها هي مركز الثقافة الروحية وهي تعد مفخرة للإنسانية جمعاء، فتعد قضية النقاد العربي ملازمة لرجل الغربي له نظرة دونية وسوء تقدير الثقافات الأخرى، فقد قسم الغرب العالم إلى مراكز وهوامش وزعمت أن الأعراف الأوروبية لا ينحدر منها النقص، بل تتميز بالصفاء والنقاء والعرقي بحكم اتصالها باليونان القديم وكذلك تزعم أن أصول الفلسفة نابعة من اليونان لا علاقة لها بالشرق وهذا ما صرحه "هيغل" فالفسلفة نابعة من اليونان تأتي بعدها الفلسفة الأوروبية الوسيطة أخيرا الفلسفة الغربية الحديثة والذي يعتبرونها ما هي إلا سوى إعادة إنتاج فلسفة اليونانية.

تحدث إبراهيم بوخالفة عن الاستشراق وتجسيدات الخطاب عرّف التمثيل «هو النظر إلى الآخرين من خلال ذواتنا أي من خلال ثقافتنا التي تمارس التمثيل من خلال التخييل»[3]، والذي يتقاطع مع علوم إنسانية شتى كالنقد الأدبي والأنثروبولوجيا وتاريخ العقليات وعلم النفس الاجتماعي «إنه يتسم إلى شيء

[1] – إبراهيم بوعبد الله: المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط1، 1997، ص: 15.

[2] – المرجع نفسه: ص: 18.

[3] – إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 73.

متشكل تاريخيا في اللاوعي الثقافي لأمة وهو قابل للاستشارة والتحريك كلما دعت الحاجة إلى ذلك».[1]

ثم تعرض إلى الجنسانية العربية من منظور الاستشراق تحدث عن المرأة في العالم الإسلامي والعربي في مجتمعات تخضع للهيمنة الذكورية وإلغاء الذات الأنثوية ويعتبرها ما هي إلاّ وسيلة لنقل ثقافة الرجل واستمرارها عبر الأجيال «وهكذا وصفت النساء في قلب دراسة قوى اجتماعية متقابلة ومتنافسة فمن ناحية ثمة الاتجاهات مندفعة في تقدمها نحو العولمة والتكامل المتزايدين، ومن الناحية الأخرى ثمة الاتجاهات المندفعة في تراجعها نحو القومية والتجزء».[2]

حيث صور الغرب المرأة الغربية بكل أشكال الثقافة والتطور أما المرأة الشرقية مثلوها بالتخلف والرجعية أسقطوا عليها الهيمنة الذكورية ووصف ثقافتها بالرجعية والتخلف والانغلاق، فعمل الاستشراق على ترسيخ تلك الصورة، مع إدراكهم أنها صورة أبدعوها بهدف المغالطة لأن الإسلام جاء يكرم المرأة لا يهينها فدّعوا تخلفها بلباسها واحتشامها حفظها لشرفها وكرامتها، وهذا ما أظهره أمين معلوف في روايات "سمرقند" و"رحلة بالدراسار"، حيث يرى "فلوبير" «أن المرأة المصرية ما هي إلا سوى آلة فهي لا تفرق بين رجل وآخر»[3]، حيث تأثر فلوبير بما أنتجه الشرق "ألف ليلة وليلة" التي تسرد الخيال الرومنسي و لم يسلم الغرب من ذلك التأثر فترجموها وأخذوا صورة مشرقية خيالية عن المرأة وعلى هذا الأساس أسسوا الفكر الثقافي عن المرأة الشرقية باعتبار الاستشراق، جاء ضاربا لتلك الأنوثة المشرقية، في ضوء هذا حديث تطرق إبراهيم بوخالفة إلى تبين العلاقة بين الاستشراق والإمبريالية

[1] – نادر كاظم: تمثيلات الآخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص: 12، 20.

[2] – أومانا ريالين وسانداراها دينغ: نقض مركزية، ترجمة: د. مني طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2012، ص: 36.

[3] – إبراهيم بوخالفة، أطياف الاستشراق، ص: 87. (بتصرف).

وحددها بعلاقة عضوية باعتبار أن غايات الاستشراق هي معرفة بالشرق والشرقيين واعتبار أن الإمبريالية مشروعا سياسيا وارتباطها بالرسمالية وجاءت نتيجة مرحلة بارزة في تطور الرسمالية، وتعني النفوذ على دول خارج البلاد ولتنفيذ هذا عمل الاستشراق على تهيئة الإمبريالية وتنفيذ استعمارها وهيمنتها على دول الشرق.

ثم ولجّ إلى حديث عن الرواية والإمبريالية فتعد الرواية وسيلة لإفصاح الفكر الإيديولوجي لكثير من الفئات التي تريد الهيمنة الثقافية والاقتصادية في المجتمع وتعد جنس أدبي ثوري، ويجادل إدوارد سعيد «أنّ الرواية الغربية كما نعرفها اليوم ما كانت ستوجد في غياب الإمبراطورية، وبالفعل فإننا إذا درسنا البواعث التي سببت نشوئها فسنرى الالتقاء – البعيد تماما عن أن يكون عرضيا- بين أنساق السلطة السردية المشكلة للرواية من جهة وتشخص عقائدي معقد يستبطن النزوع نحو الإمبريالية من جهة أخرى»[1]، هنا يؤكد العلاقة بين الرواية والإمبراطورية فهي تعد جنسا أدبيا مسيطرا من بين الأدبية، وخاصة في مطلع القرن الثامن عشر وبينت قوتها وسيطرتها في الساحة الفنية، فذكر إبراهيم بوخالفة أشهر روائي "ألبير كامي" المولود في الجزائر الذي نادى بعدم خروج فرنسا من الجزائر وهذا ما جسده في رواياته.

ثم تطرق إلى الآخرية في الفكر الغربي الحديث «يدرج مفهوم الآخر في مجال الوضع الإنساني عموما، وضمن العلاقات البشرية بمختلف أبعادها الوجودية والفلسفية والوجدانية، وكل هذا يبرر صعوبة هذا المفهوم ويستبعد الاستقرار على إدراك موحد لمسألة الآخر، مسألة متعلقة مع مجالات معرفية وفلسفية كثيرة ومتنوعة من شأنها أن تجعلها مسألة ذات جدل لا نهاية له»[2].

[1] – إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 99.

[2] – المصدر نفسه، ص: 105- 106.

ويعتبر الآخر عدو بادعائهم الإيقاع به ويتخذونه عدولهم، ولكن ليس الاخر عدو دائما، مهما تعدد الاختلافات يمكن تصنيف الآخر إلى ثلاثة أصناف منهم محايد وعدو وذات مصلحة، ثم اتجه إلى الكولونيالية التي تعتمد على الإقصاء لكل ما هو دخيل على أروبا في نفس الوقت عملت على تهيئة الشعوب المستعمرة لكن وجدت نفسها لم توف بالوعد بل هذه التناقضات آلت لزوالها وتفكيك بنيتها الهشة، فعملت كل من الإمبريالية والكولونيالية على وضع حدود فاصلة بين المركز والهامش واشتغلت على إزاحة كل ما هو خارج نطاق الحدود القومية بين الداخل والخارج وبين المركز والهامش وبين الأبيض والملون وبين الشرق والغرب لكن لم تتمكن الإمبريالية من تحقيق غايتها المنشودة فتم إلغائها وتفكيكها ثم ظهرت الإمبريالية التي أسست مبادئ مناقضة للإمبريالية بإزالة حدود الإيديولوجية الفاصلة بين الداخل والخارج بين المركز والهامش وبين الأبيض والملون وبين الشرق والغرب لكن لم تتمكن الإمبريالية من تحقيق غايتها المنشودة فتم إلغائها وتفكيكها ثم ظهرت الإمبراطورية التي أسست مبادئ مناقضة للإمبريالية بإزالة حدود الإيديولوجية الفاضلة بين الداخل والخارج.

هنا يمكن القول أن الإمبراطورية جاءت مناقضة للإمبريالية وجاءت بعد الإمبريالية، فدعت إلى صناعة الآخر إن الأنثروبولوجية أسست مفاهيمها عن الشرق في فترة كان الشرق فيه نوعا من التخلف الديني وتعصب الفكري، فعملت على تكوين صورة كان الشرق فيها يعاني من الجهل والأوهام والأساطير والخرفات، كان الدين الإسلامي في هذه الفترة معدوم تماما بعد مجيئه أحدث ثورة فكرية وسياسية واقتصادية والثقافية واجتماعية...هائلة أخذ بيد شرق نحو الازدهار والتطور لكن الأنثروبولوجيا في أبحاثها لم تصلها هذه التطورات بعد، فأخذوا صورة آخر (الشرق) المتخلف متعلق بالأوهام والأساطير «فرحلة الشرق التي قام بها "جيرار دونرفال"

و"شاتوبريان" و"فلوبيير"، هي من اختراعات الرومنطقيين، إنها تحدد فضاء مشفرا من القراءة والكتابة تسكن فيه الآخر في الرحلات والاستكشافات الأنثروبولوجية بكون الآخر هو ذلك الشخص الذي كان يخلع به ويتخيل قبل أن يكتشف، إنّ إدراك الواقع الاخر ضمن المكان الاخر لا يدرك إدراكا مباشرا، وإنما من خلال وعي الصور التي تستنبطها الثقافة الناظرة، فرؤية الأنثروبولوجي لما هو غير مألوف وأجنبي وغريب وبعيد يقودها دائما نموذج يكون سابقا عليها في الوجود»[1].

ب- الرؤية النقدية في الفصل الثاني من كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة:

علم الصورة يقابله باللغة الفرنسية Imogologie، نشط هذا المنهج في الدراسات الأدبية المقارنة، حيث يعد هذا الأخير فرعا من فروع الأدب المقارن يبحث في خصائص الشعوب من خلال نتاجها الأدبي، وهذا من خلال ما يصوّره عن تلك المجتمعات وثقافاتها.

ويعرف الناقد إبراهيم بوخالفة هذا المصطلح بأنه: «دراسة صورة الآخر الأجنبي في الخطاب الروائي أو الأدبي بشكل عام». [2]

ويعود ظهور هذا المصطلح إلى مرحله ما بعد الكولونيالية وما يليها تحديدا إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويؤرخ له من زيادة الأدبية الفرنسية "مدام دوستال" لألمانيا، فمن خلال إقامة هذه الأديبة في أوساط المجتمع الألماني استطاعت أن تكتشف ميزاته، والتعمق فيه أكثر ما جعلها تكتشف صورة مغايرة تماما لما كانت تتصوره أو بالأحرى تتخيله وتعتقده عن المجتمع الألماني، وبصفة أدق تغيرت نظرتها إلى هذا المجتمع، وبفضل هذه الرحلة التي قامت بها "مدام دوستال" إلى ألمانيا، أنتجت الأديبة كتابا تحت عنوان "ألمانيا"، ففي هذا النتاج الأدبي عملت على تصحيح ما في

[1] - إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 128.

[2] - المصدر نفسه: ص: 133.

أذهان الفرنسيين من صورة مشوهة عن الألمان وبلادهم وثقافتهم لذا يمكننا أن نعد هذا الكتاب بداية لما أصبح يعرف بالدراسة الأدبية للآخر (الصورولوجيا). [1]

فالصورولوجيا تعد اتصالا مفتوحا أو تنافدا بين الشعوب، أو مرايا تنعكس عليها سمات الشعوب وسماتهم المتوهجة. [2]

فعلم الصورة هو دراسة الأجنبي في أثر أو أدب أو ما هو بمثابه مبحث يستهدف أولا وقبل كل شيء تبديد الأداء الخاطئة عن الجماعات الإتينية والقومية واللغوية أو القومية. [3]

فعلم الصورة يهدف إلى إزاله الصور النمطية التي تكون في الأغلب مشبعة بالأحكام القيمية، تكون على أساس الإتجاهات والتصرفات والتوقعات الخاصة بإحدى الجماعات أو أحد الأفراد. [4]

فهي تكشف عن الرؤية الجوهرة الجوهرانية والتمييزية للمحتلين أي تلك الصور الصادرة عن رؤى الاحتلال على اختلاف جنسياته خاصة تلك الصور التي رسمها الفكر الاستشراقي وما بعد الكولونيالي، حيث كان كثيرا ما يعودون إلى الأنماط والكليشيهات ذات العلاقة بالشعوب المستعمرة.

فنجد آموسي يرى أن: «النمط يبدو وكأنه معتقدات أو رأي عام، وهو يهدف إلى إعادة تشكيل الواقع الثقافي لجماعة معيّنة في إطار الفضاء الإيديولوجي

---

[1]- ينظر: ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريان دمشق، 2000، ص: 110.

[2]- نوافل يونس الحمداني: الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى، مجلة ديالي، العدد 55، 2012م، ص: 01.

[3]- ينظر: عبد النبي ذاكر: أفق الصورولوجيا (نحو تجديد المنهج)، مجلة علامات في النقد العربي، العدد 51، 2004م، ص: 28.

[4]- أندرو بيتر سيد جوني: موسوعة النظرية الثقافية، ص: 301.

والجماعي المستغنى، بطريقه تسمح بإبراز العدسة التي ننظر من خلالها إلى الذات والأجنبي». [1]

في نظر إبراهيم بوخالفة الصورة النمطية في كثير من الأحيان تنتج صورة خاطئة عن الشعوب، بالرغم من ذلك إلاّ أنه لا يمكن إزالتها فهي متجذره في عمق كل فرد، وهي في أغلب الأيان نتاج تكونات ثقافيه عرقيه أو جنسيه، وكذا إيديولوجية، لا يجب تسليم بها.

فالصورة النمطية هي إنتاج وتقديم الواقع الثقافي، ولكن ليس كما هو معطى، بل واقعا متخيلا يترجم الفضاء الاجتماعي والثقافي والإيديولوجي والخيالي الذي يريد المقاربي أن يتموضع فيه، ويتجلى من خلاله الطريقة التي ينظر بها المراقب إلى الواقع وإلى الوقائع، سائحا كان أو رحّالة أو دارسا.

فالمستشرقون في القرن التاسع عشر في نظر إبراهيم بوخالفة صنعوا شرقا متخيلا لا علاقة له بحقائق التاريخ، شرقا تابعا، فتصوراتها هؤلاء المستشرقين هي عبارة عن اقتراحات وأحكام القومية مسبقة تمتزج فيها كل أنواع الحقائق (عجائبية، خيالية، واقعية).

وتعتبر الصورة لغة رمزية توازي اللغة حيث تحمل كل صفاتها وسماتها، فالصورة لغة مشفرة تستطيع نقل صورة الآنا إلى الاخر وكذا يحدث عكس ذلك، فالآخر ينبثق عن صورة الآنا، وتسكن الآنان صورة الآخر والصورة الرمزية هي لغة مشفرة، وتتخذ هذه اللغة رموزا ثقافية مختلفة (اللباس المطبخ العمران...).

وكذا تعد صورة وسيلة من وسائل المعرفة، فالحاجة إلى معرفه الآخر خلقت لنا علمت صورة من رحم علوم أخرى، فعلم الصورة مرتبط بالأنتروبولوجيا، ولقد تجانس علم الصورة مع عدة علوم أخرى وذلك في سبيل إلى أكبر قدر من المعرفة.

[1] -Rutha mossyet anne herchberg, stérotypes et chichés, Ed Nathan, Paris, 1997, P 26- 27.

ومن بين الأهداف الأساسية من وراء دراسة علم صورة هو جمع قدر وفير من المعلومات حول ثقافه الكاتب، وكذا ثقافة الآخر الأجنبي فعلم الصورة يساعد بشكل مزدوج في التعرف على الأدب.

ولقد حاول إبراهيم بوخالفة في الفصل الثاني أن يدرس مواقف الآخرية من خلال روايات أمين معلوف مستفيدا من علمي الصورة (Imagologie) وذلك ضمن ثلاث وضعيات وهي كالآتي:

- وضعيه الرّهاب.
- وضعيه الهوس.
- وضعيه التالف.

- وضعيه الرهاب:

تدعو إلى كراهية الأجنبي والإزدراء بثقافته، وكذا تدعوا إلى التعصب للثقافة المحلية والإعلاء من شأنها وهي عكس وضعيه الهوس.

- وضعية الهوس:

وتعني الولوع بثقافة الغير لدرجة احتقار ثقافة الذات والثقافة القومية، فالكاتب الذي يمثّل الغيرة انطلاقا من وضعيه الهواس، يصور العالم تصوير ثنائيا ضديا، واقع أجنبي راق ومتطور، وواقع ذاتي متدن متخلف. [1]

وهذا ما دعا إليه روّاد النهضة العربية الحديثة في مطلع القرن العشرين دعوا إلى تجسيد الحضارة الغربيّة قلبا وقالبا، ويعد ذلك في نظرهم لما يعيشونه من تخلف بعد انسحاب الاستعمار الغربي من أوطانهم، وهنا يبين من مثل هذا الاتجاه (طه حسين، ميخائيل نعيمة، محمد عبد الحليم، عبد الله، قاسم أمين).

[1]- ينظر: إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 145.

كان هؤلاء مهووسينا بالحداثة الغربية، ودعوا إلى تبني الثقافة الغربيّة، وهذا في نظرهم شرط أساسي لتحقيق النهضة، وهذا ما يدعو إليه الاستشراق فالمستشرقون يرون أنّه لا يمكن للعالم الثالث أن يتخلص من تخلفه إلاّ بتبني المناهج الغربية .

- وضعيه التآلف:

تدعو هذه الوضعية إلى الوسطية ما بين الهوس والرّهاب، تصور آخر تصويرا ايجابيا، بالمقابل لا تقلل من شأن الذات، والاحتكاك بالآخر يمكنه أن يساهم في تطوير الذات، ويعمل على توطيد العلاقة بين الذات والواقع، وضعيه التآلف هي الوضعية المناسبة للعيش فهي حلقه التواصل بين الثقافات، ومن بين المستشرقين الذين روجوا لهذه الفكرة (شاتوبريان، غزبينو رينان).

ففي رواية "ليون الإفريقي" جسّد الناقد وضعية الصورة الرهابية فرصّد أهم التمثيلات الرهابية في هذه الرواية، ففي رأي إبراهيم بوخالفة رواية "ليون الإفريقي" تخفى كثيرا من مواقف الآخرية، وأمين معلوف في وجهة نظره كثيرا ما يستلهم أحداث وشخصيات رواياته من التاريخ خاصة التاريخ الوسيط والحديث.[1]

باعتبار التاريخ موطن منجز في الزمان والمكان، يوفر مجالا لفهم الحاضر، واستشراق المستقبل، ورواية "ليون الإفريقي" استلهمت التاريخ بشكل مباشر أو غير مباشر.

وتمثيلات الحكم في الإسلام هي أول الصور الرهابية التي تطّلع إليها إبراهيم بوخالفة في هذه الرواية من خلال تجسيد طريقه تداول على السلطة في الأندلس، فالناقد إبراهيم بوخالفة يرى أن أمين معلوف في بداية روايته "ليون الإفريقي" مهدّ لذلك فمن خلال وضع المتلقي أمام الحيثيات التاريخية للوضع السيّاسي، فصوّر أنظمة الحكم عند المسلمين، فجسّد الحاكم في صورة مستبدة، ومثل هذه الشخصيات تكرر

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 146.

وجودها في فضاء الثقافة العربية، فنظرة الحكام لشعوبهم أنتجت استبدادا وطغيانا، وكفرا بكرامة الإنسان العربي.

فالرواية تصور المسلمين على أنهم لا يعرفون الحريّة وأنّ الحكام وحدهم هم الأحرار، وأن الرعايا خلقوا لخدمة الملوك، وكذا التصدي للأخطار التي تواجه المملكة والحكم العربي هو حكم الاستبدادي، وهذه كلها صور جماعية أخذها الغرب عند العرب.

ثم انتقل إبراهيم بوخالفة إلى رواية أخرى من روايات الروائي الفرانكفوني أمين معلوف ألا وهي "رواية بالداسار" فمن خلال شخصيه "بالداسار" حاول الناقد رصد أهم الصور والتمثيلات الرمزية العالقة بالآخرية، صور الروائي شخصية العربي الحديث، وكيفية ارتقائه في الحكم، وعلاقته بمحيطه السياسي الداخلي والخارجي، وبيّن موقف الغرب من الأنظمة العربية. [1]

أما في رواية "موانئ الشرق" يرى إبراهيم بوخالفة أن هذه الرواية كشفت عن موقف الروائي من مسألة الحكم والحكام في الوطن العربي الحديث، وذلك من خلال شخصيه "سالم" فهي تمثل إدانة لنظام الحكم عند العرب، ولطريقة التناوب على السلطة، وكذلك عن الوجه المنافق للغرب الذي لا يهتم إلا لمصالحه.

وكذا رصدت الرواية صورة التركي من المخيال الرمزي للرّحالة الأوروبيين والمستشرقين أو الباحثين الأنتروبولوجيين، في رأي الناقد إبراهيم بوخالفة أن هذه الرواية تمكنت من توفير هائل من المعرفة التاريخية بالإمبراطورية العثمانية، منذ كانت دولة قوية مسيطرة على الجزء الأكبر من العالم الإسلامي إلى أن تحولت إلى بقايا

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 178.

ضعيفة مستضعفة، تتآكلها المؤامرات، وتهينها الدسائس، وتستترفها القوى الأوروبية العظمى. [1]

ثم تطرق الناقد إبراهيم بوخالفة إلى رواية "التائهون"، وهي آخر إصدارات أمين معلوف، فهذه الرواية في نظره تضعنا في أجواء الشرق الأوسط، في القرن الثاني من القرن العشرين؛ أي بعد الحرب العالمية الثانية، وما تبعها من أحداث هزت العالم الإسلامي والعربي.

فمن خلال شخصيه آدم وأصدقائه ومسيرهم، حاول إبراهيم بوخالفة إلتقاط صورة الشرق ولبنان تحديدا في المخيال الرمزي للمثقف اللبناني في الداخل والخارج، وبدوره لبنان هو رمز للوطن العربي، ولقد تحسس الناقد، فكر الروائي أمين معلوف في بطل هذه الرواية "آدم"، فشخصيه آدم تشعر بعالمية الإنسان أكثر مما تشعر بوطنيتها أو قوميتها، إنها شخصية تستمتع بالتجرد من كل الهويّات والانتماءات والأمكنة والطوائف فآدم مواطن لكل العالم متحرر من كل القيود (دينية، جغرافية...)

فالحداثة في الوطن العربي التي تزامنت مع اقتحام الغرب لإقليم العرب يرى إبراهيم بوخالفة أنها كشفت شساعه بين الشرق والغرب في مستوى النمو الحضاري والتطور العلمي، نتيجة لهذا الصدام التاريخي خلقت أزمة قيم حادة داخل الوطن العربي، خاصه لدى المثقف العربي، فشخصية آدم بدل من أن تدين الغرب المتوغل على غيره، أصبحت تدين العرب والمسلمين لتخلفهم ولضعفهم.

[1]- المصدر السابق: ص: 192.

فموقف شخصيه آدم في نظر الناقد يعكس موقف آمين معلوف فالحضور الغربي المركز في لبنان وفي الوطن العربي عموما عمل على تهميش الثقافة المحلية، والتشكيك في قدرتها على مجابهة التحديات الحداثة والتنمية. [1]

فتخلّف العرب والمسلمين على جميع الأصعدة، ساعد الاستعمار في تحييد الثقافة العربية والإسلامية.

فالرواية في نظر الناقد إبراهيم بوخالفة هي عبارة عن صراع بين شرق متخلف يسعى إلى النهوض وفق قيمة ومرجعيته الحضارية، وغرب يهاجمه في قواعده.

يرى إبراهيم بوخالفة أن شخصيات روايات أمين معلوف موزعة بين عالمين، شخصيات تعيش الاغتراب في أقاليم الآخر منغمسة فيه، فشخصية حسن الوزان في رواية ليون الإفريقي لم تعرف الاستقرار في المكان، حيث كان يكابد قلقا وجوديا دفعه إلى التيه والبحث عن الذات، فلقد كانت حياته منذ طفولته الأولى لحظة كثيفة من لحظات التيهان الذي يعبر عن ضمأ إلى العالم الآخر.

وكذا شخصيه بالداسار في رواية "بالداسار" عاشت تجربة الترحال بحثا عن المعرفة، وهذه التجربة في نظر الناقد إبراهيم بوخالفة جعلته يكابد شظف الوجود في فضاء الأجنبي.

وفي رواية "التائهون" شخصية آدم التي عكست صورة المثقف العربي، فمن خلال اغترابه في عالم الاخر، أصبح منغمسا بفكره، باعتبار أنّ الفكر العربي فكر متدني ومتخلف.

لقد تعمقت روايات أمين معلوف في التاريخ من خلال ملامستها أهم التحولات الحضارية التي شكّلت الشرق والغرب لما هو عليه في الوقت الحالي، وصوّرت الصراع بين الآنا (الشرق) والآخر (الغرب) ومساعي العالم الآخر في

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 206.

السيطرة على العالم الشرقي من خلال مسيرة طويلة، استخدم الغرب كل الوسائل لفرض وجوده وايديولوجيته.

فمن خلال الفصل الثاني حاول الناقد إبراهيم بوخالفة رصد أهم الصور الرهبانية التي تفضح العدائية بين العرب والمسلمين، والأتراك على الخصوص، ومن الأمريكيتين الجنوبيتين. [1]

وكنقد وجهه إبراهيم بوخالفة إلى أمين معلوف، فهو يرى أن الروائي باعتباره عربي ومشرقي، كان يفترض به تصحيح نظرة الغرب من العرب والمسلمين، تلك النظرة العنصرية والمتأثرة بالمركزية الغربية، كما أنه كان يجب عليه التجرد من عصبيات القرن العشرين، إلا أنه كان منشغلا فقط بإعادة الفكر الاستشراقي.

فالناقد إبراهيم بوخالفة من خلال دراسته للروايات المعلوفية "رحلة بالداسار"، "مدائن المشرق"، "التائهون"، "بدايات" أن الروائي لا يزال يقدم صورا نمطية عن العرب والمسلمين تلك الصور التي تتداول في الفكر الغربي عن الشرق، فصور الرجل العثماني بصورة الحاكم المستبد، والمرتشي والممقوت من عامة الناس، والرجل المتوحش والبربري وصور الرجل العربي بذلك الإنسان الجاهل الذي يتلبسه الفكر الوصولي، وكذا الرجعي والمتطرف والإرهابي.

فالروائي أمين معلوف منغمس في الفكر الغربي بكل تفاصيله، بينما كان يجب عليه تصحيح الفكر الغربي نحو العرب والمسلمين انشغل بإعادته.

ج- الرؤية النقدية في الفصل الثالث من كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة:

لقد أحدثت الحداثة ثورة فكرية وثقافية وسياسية أثرت حتى على كيفية التفكير المشرقي وتأثره بالغرب، فظهر بما يعرف بالصورة الهوشية التي تحدث عنها براهيم بوخالفة في هذا الفصل يعرفها على أنّ «صاحبها مهووسا بثقافة الأجنبي

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 230.

وبقوته المادية والرّوحية (...) وبعد عن التواصل مع الذات والقطيعة مع الأسلاف والأصول (...) إن المهووس بثقافة الأجنبي مفصوم عن واقعه الاجتماعي والثقافي فهو وإن كان يعيش في محيطه المادي، إلا أنه منفصل عن وجدانيا وهو موصول بواقع آخر، ممزوج بالأوهام والأساطير والملفقة في كثير من الأحيان»[1]، فهو يرى أن المهووس هو من خلع لباس أصوله وعرفه فكريا وتتبنى لباس الغرب وادعى صلاحه وضرورة اقتداء به فحاول براهيم بوخالفة استنباط تلك الصور الهوسية من الروايات أمين معلوف واستخراج مدلولها الفلسفي والسياسي وقد استهل أمين معلوف واستخراج مدلولها الفلسفي والسياسي وقد استهل برواية "ليون إفريقي" فبدأ يصنف المشهد صورة المسلمين المحاصرين في مدينة "غرناطة" من طرف "القشتالين"، فيرى في هذه الصورة رغم شجاعة مقاتلين المسلمين أثناء الحرب ومواجهة القوية التي قدموها إلا أنهم استحالت لهم السبل في فك الحصار عن مدينتهم لأن عدّوهم يمتلك سلاحا قويا، ومتطورا جدا لأنهم يدركون قوة خصمهم، فيقول إبراهيم بوخالفة «أنّ الوضع الحضاري للامة الإسلامية في ذلك العصر كان مريحا مقارنة بالغرب المسيحي الذي بدأ بالكاد يسجل أولى مراحله في النهضة العلمية»[2]، وهنا لاحظ الصورة التي أخذها العرب على أنفسهم والنظرة الدونية المتشبعين بها وإعلاء الغرب عليهم رفع من صورتهم على حساب أنفسهم.

وقد تطرق كذلك إلى رواية "سمرقند" لأمين معلوف، حيث تحدث عن الصراعات السياسية بين السلاحقة والإسماعيليين، فقد أظهر إبراهيم بوخالفة الصورة الهوسية في هذه الرواية حيث يرى أن المسلمين في الأندلس كانوا منهزمين نفسيا وغير مؤمنين بقدراتهم العسكرية وينظرون إلى المسيحين بنظرة القوة والسيطرة والغلبة ولم

[1] – إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 232.

[2] – المصدر نفسه، ص: 233.

يسعوا إلى تحقيق الفارق بينهم فكان زعيمهم السياسي أمير غرناطة أبو عبد الله هو من زرع فكرة الانهزام وكان متشبع بها وأراد تسليم المدنية بأقل خسائر ويذكر من رواية «لم يكن صاحب المدينة يفكر إلا في الهرب من العراك»[1]، وأبدى لك النظرة الدونية التي يراها المسلمين على أنفسهم حيث لا يمتلكون القوة في استخدام الأسلحة حتى ولو حصلوا عليها، وهان يمكن القول أن براهيم بوخالفة أراد إيضاح تلك الصورة التي سماه بالصورة الهوسية التي تبناها العرب والمسلمين وموقفهم اتجاه أنفسهم، واتجاه الغرب فلم يتمكنوا من إبراز تلك الأصول وتلك القيم الثقافية التي وريثوها من أمجادهم وأسلافهم بل انتزعوها من جذورها وتبني أفكار وثقافات الغرب بحجة الهيمنة الفكرية والثقافية وانسلاخ الكلي من الأصول دون السعي إلى محافظة عليه ومكافحة من أجله ودون بذل أي جهد.

ثم انتقل إلى رواية أخرى رواية "موانئ المشرق" أظهر مدى تأثر العرب بالغرب ومدى احتكاكه به من خلال سرد أحداث تلك الرواية وأراد إيضاح مدى الرابطة الفكرية القوية التي زرعها "كيتدار" الذي ينتمي إلى مجتمع راق في لبنان من سلالة عثمانية في ابنه "عصيان"، حيث مهدّ له الطريق نحو الصفقة الغربية، فغرس فيه حب التطلع على رموز الحضارة الغربية الحديثة والقديمة منهم نابليون ومن يان، وولينين، وقيصر والإسكندر ومرموز قوتها وأمجادها.

وقد انفصل انفصالا كليا عن رموز التاريخ العربي والاسلامي من أمثال: طارق بن زياد، وهارون الرشيد، وصلاح الدين الأيوبي، الذين كتبوا التاريخ بدمائهم وخلدوه لأولادهم وأبنائهم، وهذا يبين شيئا واحدا أن رفض المعالم الإسلامية يبدأ من داخلها حيث أقنع والده بالهجرة للغرب والدراسة فيها واختار له بلد القيم الكونية وهيمنة الكنيسة وقد أشار إبراهيم بوخالفة أن لبنان هي بلد العربي الأكثر استجابة

[1] – أمين معلوف: ليون الإفريقي، دار الفارسي، بيروت، ط3، 1997، ص: 56.

وأكثر تأثيرا بالعوامل الجارفة وتمتلك العديد من الطوائف الدينية وأشار أيضا إلى أن موقعها الجغرافي مهد لها أن تصبح بوابة الشرق نحو أوروبا إن الرفض لتلك القيم المجتمعية ولد عصيان يميل إلى فرنسا وتحرر من قيود العائلة الشرقية حيث يقول: «يا لسعادتي من أجل الرحيل، ما أروع أنني لم أعد أجلس على مائده أسرتي (...) لا ظل الوالد، ولا نظرته التي تسبر عيني أعماقي وأفكاري»[1] وكأن البعد عن جو العائلة هو بمثابة التحرر الحقيقي الذي يجعله يتمتع بالاستقلالية المطلقة في كل ما سيعيشه في أوروبا، فقد مرّ المجتمع الفرنسي بخطر محدق وهو النازية فشرع بتصفية المجتمعات ووجد "عصيان" نفسه في صفوف المقاومة فبدأ يحمل هموم المجتمع الفرنسي بدلا من أن يحمل هموم وطنه الأصلي، فدخل ميدان المقاومة بشراسة حتى انبهرت الصحافة وأطلقوا عليه اسم "باكو" وها حلم والده يتحقق فضل صفوف المقاومة مع فرنسا ورفض وقوف مع بلده الأصلي وعدم البقاء مكتوف الأيدي من الحرمان، وقد جسّد إبراهيم بوخالفة تلك التفاصيل الدقيقة التي تبرهن الانسلاخ هي من انتماء إلى العروبة حيث كان يصف "باكو" كيف يتعامل مع الأجنبي الجديد حيث يقول "باكو" عن نفسه «بقيت ودودا بشوشا وخجولا دون إفراط أي باختصار طيّب المعشر تغمرني السعادة، في هذه البيئة الجديدة، حيث والحق يقال لم يبهرني في شيء، إنما كانت تعتريني جملة من الدهشات الصغيرة»[2].

حيث رأى إبراهيم بوخالفة أن "باكو" هيء نفسه مسبقا لاستقبال وتبني ثقافه الأجنبي وما يحسه به اتجاه ثقافته ما هو سوى خجل منها وتردي فقط وبهذا ألقى نفسه تحت رعاية الغرب.

[1]- أمين معلوف: موانئ المشرق، ص: 62.

[2]- المصدر نفسه: ص: 64.

ولقد صرح إبراهيم بوخالفة أن الغرب استقبل الشرق و لم يعتريه من الآخرية فهو لا يهتم بالفروق العرقية «لا تفكر بالفروق وأوجه الاختلاف من منظور مطلق لا تبادر قط إلى طرح التباينات العرقية كاختلاف في الطبية بل تسوقها دوما على أنها تعبير اختلاف في الدرجة لا كضرورة بل كأمور عرضيه طارئة باستمرار».[1]

زعم أن الهجرة كانت نحو أمريكا أكثر أوروبا لأن أوروبا تمارس التمييز العنصري ضد الملونين وخاصة العرب والمسلمين لذاتها فتهافتت الهجرة نحو أمريكا تم تأسيس جامعة أمريكية في بيروت في منتصف القرن التاسع عشر وانتشرت ظاهرة التبئير في لبنان من أجل نشر اللغة الأجنبية، ونشر الثقافة والقيم الأمريكية، وهذا يبرهن أن العالم يخوض مخاضا عسيرا وحربا إيديولوجية «لقد بات واضحا على نحو مقلق أن العالم واقع في خضم حرب إيديولوجية لم تكن الحرب العالمية الثانية غير طور من أطوارها إننا نتعارك حول أفكار(...) إنّ نضالنا من أجل القيم»[2].

حيث صرح أمين معلوف انتمائه الإيديولوجي لأمريكا، حيث نجد في روايته "بدايات" الكثير الكثير من هجرات إلى أمريكا وكان التأثير بها ليس لهم ويتناسب مع ثقافتهم، ليحصلوا على انتماء والانسجام التام لهم وأعطى صورة لتلك المواجهة الثقافية بين ثقافه أمريكا وثقافة أوروبا وصورة ثقافة العربية الإسلامية التي باتت بين هاتين القوتين، وهذا الصراع الثقافي محتدم ولّد الرغبة القوية في عمل على تكريس اللغة الانجليزية وجعلها لغة حياة راقية، ومن الذين تشبعوا بحب تلك اللغة جدّ أمين معلوف "بطرس" الذي كان يشجع على تعلمها وكذلك تقليد أمريكا في لباسهم حيث «كان يمشي دائما حاصر الرأس لدى مروره في الشارع، ففي تلك الفترة كان

[1]- هاردت مايكل ونيقري أنطونو: الإمبراطورية، تعريب، مكتبة العبيكات، الرياض، ط1، 2002، ص: 289.

[2]- إدوارد سعيد: الألسنية والنقد الديمقراطي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 54.

معظم الرجال يعتمرون غطاء للرأس شرقيا، إما الطربوش الطويل المعروف بالمغربي أو الكوفية العربية أول القلنسوة المطرزة»[1].

أبان إبراهيم بوخالفة من خلال أحداث هذه الرواية أن الروائي أراد إيضاح صورة الواقع لبنان والشرق العربي عموما «أصبح مرادفا للموت موت المجازي موت العقول والنفوس وموت الأخلاق»[2].

بيّن أمين معلوف الصورة الهوسية باختلافها بشقين حسب الشخصيات التي وظفها في الروايات، فكان الشقين متفقان بأن الشرق متخلف ودوني لكن شق منهما متشبع بفكرة أن الشرق يبقى دونيّ الجوهر ومركز التخلف والرجعية، لا يمكن أن يتزحزح من مكانته الدونية، أما الشق الثاني يرى أن الشرق هو متخلف لكن يمكن أن نحمله إلى مكان بعيد عن التخلف ويمكن تغير تعاليمه الرجعية بتعاليم ثقافه الغربية الراقية في نظرهم وهذا ما أدلى به بوخالفة من خلال هذه الشخصيات الروائية، وبين مدى حجم ووعي بالثقافة التي يحملها الروائي ومدى تأثره بالغرب وذلك منذ نعومة أظافره وغرس في عقله أن الدين اختيار وقرار حرّ لا إكراه فيه وأن الإنسان لا يجب تحمل التعصب الأعمى.

كما درس صورة بلاد فارس في خيال الغرب الحديث وموقف في الذي تبناه الغرب عن الفرس يرى أن الغرب أخذ موقف حسن اتجاه الفرس لأنها كانت «أقل محافظه على الإسلام السّنيّ، وبفعل رواسب تراثهم الوثني، المثال نحو التجسيد»[3] حيث أقاموا زيارات واتخذوها مناخا ملائما للشعر، فتحدث عن شخصية "الخيام" الذي كان شاعرا فارسيا، اكتشف في القرن التاسع عشر في أمريكا ثم في بريطانيا ثم في عموم أوروبا زلزالا حقيقيا، فأثارت هذه الشخصية اعجاب الغربيين وكان «يمثل

[1]- أمين معلوف: بدايات، دار الفارابي، بيروت، الجزائر، ط1، 2004، ص: 67.

[2]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 244.

[3]- المصدر السابق: ص: 246.

بداية الفكر الحداثي في المجتمعات العربية والإسلامية بشكل المبكر أي بدءا من القرن الحادي عشر، فإن الغرب في تلك الحقبة المظلمة لم يكن مهيأ لمثلي هذه التحولات(...) لم يتمكن "الخيام" وابن رشد وابن سينا(...) ما كانوا سيجدوا أرضيتهم الخصبة في العرب إلا في فترة لاحقة، ضمن حلقة من حلقات النهضة العربية الحديثة، وكان هؤلاء محل إعجاب وتقدير من علماء الغرب».[1]

وتطرق كذلك إلى شخصية سحرت الغرب وهو جمال الدين الأفغاني الذي ترك آثار بالغة الوضوح على الشرق الحديث، حيث كان رافضا للاستسلام للغرب وتقديم له ثرواتهم في طبق من ذهب طمعا سهلا من أجل الإمبريالية الأوروبية الحديثة ويرى براهيم بوخالفة جمال الدين الأفغاني هو زعيم الروحي لكل ثورات العالم الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر وهو الممثل الرسمي لما يحارب كل خيانة التي تصدر من العرب والمسلمين من جهة ومحاربة مخططات الاستعمار الأوروبي من جهة ثانية.

حيث استشعر الغرب بخطورة تلك الشخصية عليهم وخوفا على مصالحهم لذلك أمضى حياته في الترحال وهجرات حيث بقي يتنقل من مكان إلى آخر ونادى «بضرورة اختيار الناس حاكمهم بحرية ومراقبة حتى لا يخون في عصر يتكالب فيه الغرب على دول العالم الثالث وسعي إلى تدمير الثقافات المحلية، وفصل الشعوب عن سياقها التاريخي والحضاري وإقناعها بجدوى الالتحاق بحضارة الرجل الأبيض، كان واعيا بكل ما يحاك ضده وضد قضايا أمته، كان يحمله هموم الأنبياء وأحلام الشعراء تدور في الكتب أسطورة تتحدث عن ثلاثة أصدقاء من الفرس، طبع كل منهم بدايات

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 249.

أعوامنا الألف، عمر الخيام رصد العالم، ونظام الملك الذي حكمه، وحسن الصياح الذي أرهبه».[1]

لقد بيّن إبراهيم بوخالفة أن هذه الشخصيات تمثل الصورة النفس الفارسي، وأن ما يسعى إليه هؤلاء هو نفس ما سعى إليه الأفغاني كلهم يسعون إلى إقامة دولة إسلامية قوية تحكم العالم، حيث سرد بوخالفة من رواية "سمرقند" التجاء "لوساج" إلى بيت من بيوت فارس للاختباء فيها عن أشباه اتهامه بعملية اغتياله، ووصف تلك العائلة يقول «لقد بدت لي حفلة في لحظتها مثيرة وإن مضحكة، ومع ذلك فإنني اكتشفت فيها وأنا أعيد التفكير بها جميع فطنة الشرق»[2].

حيث تنفس رياح الشرق الدافئة، ووصف حالة السلم التي يعيشها الشرق واستقبالهم للغرب بصدر رحب دون المساس في عرضهم ولا دينهم بالرغم من اختلافه فهو لا يحمل عداوة له ولا يمكن رفع السلاح في وجهه إلا إذا بدا هو بذلك وصف "لوساج" المشرق بصورته الحقيقية دون تشويه وذكر الثقافة الإسلامية وسماتها وصفاتها من كرم وتسامح وحبّ وحسن الضيافة والجود وإلغاء تلك العنصرية وتوحدهم تحت راية واحدة وهي الإسلام، ثم تطرق إلى تحليل مواقف شخصية روائية مهوسة ببلاد فارس فبدأ بالشخصية "بيار لوتي" الذي ارتبطت تجربته الشخصية بتركيا محبا لها ومدين للإمبريالية حيث يقول براهيم بوخالفة «قد ارتبط أثناء تجربته الشخصية بتركيا، وبدأ كأنه محب لهذا البلد، وعاشق لثقافاته وأنماط حياته، فإنه في كل ذلك لم يكن يتوسل إلا ملذاته الجسدية، ومتعة الطفولية، وكان في ذلك مدينا للإمبريالية الغربية التي ينتمي إليها»[3].

---

[1]- أمين معلوف: سمرقند، ص: 95.

[2]- المصدر نفسه: ص: 244.

[3]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 258.

ثم تحدث إلى شخصية أخرى وهي "باسكرفيل" الأمريكي هو مثقف حر من ظل في قضايا الشرق دون أفكار استعمارية واستشراقية اندمج مع حياة الشرقيين وحمل همومهم وشراكهم حياتهم رفض العيش كأجنبي بينهم صار يقاسمهم كل ما يعيشونه فشارك في مسرحي لعب دور الأجنبي.

ويرى بدون الآخر تكون علاقه نرجسية، وشخصية الإنسان لا تكتمل إلا بوجود الاختلاف وعزل الذات عن محيطها هو بمثابه قتل لها والاكتفاء بالثقافة المحلية هو بمثابة انغلاق وتعطيل للمسار الطبيعي للحياة للثقافة والفكر حيث انطلق "باسكرفيل" «ليؤسس لعلاقه جديدة مع الآخر لا تسندها الإمبريالية، ولا المصالح العابرة أو الاستراتيجية فقط من أجل أن يكون الإنسان مكتمل الوجود يعيش لحظته الراهنة بكامل شحناتها العاطفية والروحية»[1].

ولقد تطرق إبراهيم إلى قضيه الشيعة وما يفعلونه بأنفسهم وما ارتباطهم بالماضي دون تصحيح وهذا راجع إلى عطل تفكيرهم وعقولهم، هذا استدل به "باسكر فيل" وحاول كسب ثقة هؤلاء العاطلين وجرهم نحو عصر الحداثة دون إدراجهم تحت الإمبريالية الغربية البغيضة ونجح في ذلك لكنه المحافظة على ثقافتهم ومعالمهم وحضارة أسلافهم و لم يسمح بإنكار آخرية آخر وحقه في الاختلاف، قد قسم "باسكرفيل" المجتمع الفارسي إلى فئتين «فئة مهووسة بالمشروع الغربي التمدني في بلادها، تتزعمه أمريكا وفئة رافضة لهذا المشرق لأنها ترى فيها تهديدا حقيقيا لهويتها الحضارية، وتفضل عالم الأسلاف الهادئ»[2] حيث يرى أن بلاد فارس لا خيار ثالث لها إما تساقون وراء "باسكرفيل" وإما يغرتوا في اللامعنى «لم تقف المركزية الغربية عند حدود تقديم رؤيه العالم، بل تقدمت بمشروع الإنسانية

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 261.

[2]- المصدر نفسه: ص: 263.

المستقبلي من خلال تعميم النموذج الغربي واحتلال وخطورة هذا المشروع أنه سوغ منطقيا التوسع الغربي واحتلال العالم وإبادة الحضارات»[1].

يصرح براهيم أن مجيء الأمريكيون الثلاثة "باسكرفيل" بتحديث التعلم ونشر المناهج الأمريكية، أما "شوستير" فقد كلف بتحديث وزاره المالية ومراقبه حركة السيولة ومنع الفساد المالي.

أما "لوساج" فبحث عن تقارب الحضارات وحوارها من خلال الترويج لرباعيات "الخيام"، وإشعار الأمريكيين من أمثال "فيدريجر" فشمل هذا الفصل الصورة الهوسيه الذي يرى فيها براهيم بوخالفة أنها تكشف التفاعل الإيجابي والسلبي وتلاقي بين الحضارات الشرقية والغربية، ومدى تشبع الشرق بالثقافات الغرب نحو التحديث ونظير ذلك احتفاظ البعض بالثقافات المحلية المختلفة الرافضة للتحديث وقد تطرق إلى الصورة التي يرى الغرب الحديث لبلاد فارس.

د- الرؤية النقدية في الفصل الرابع من كتاب اطياف الاستشراق "لإبراهيم بوخالفة":

الرواية هي مصنع ثقافي من مصنّعات المجتمع الطبوقوسي وملتقى لحيوات شتى، ولحضارات متآلفه أحيانا، ومتنافره أحيانا أخرى. [2]

الناقد إبراهيم بوخالفة يرى أن هذا التوصيف للرواية من طرف إدوارد سعيد يتطابق مع رواية "بالداسار" للروائي أمين معلوف، ففي رأيه أنها رواية تجمع كل لغات العالم وحضاراته وثقافاته.

وفي هذا الفصل حاول إبراهيم بوخالفة رصد أهم وضعيات التآلف في رواية "بالداسار"، من خلال النظر في علامات التقارب بين الحضارتين اليهودية والمسيحية، وكذا اليهودية والإسلامية الوضعية الأولى كانت بين الحضارة المسيحية واليهودية،

[1]- إبراهيم عبد الله: المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1997، ص: 33.

[2]- ينظر: إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 263.

ولقد مثل هذا التآلف والقبول من خلال شخصية بالداسار ذات الخلفية المسيحية حيث تعيش بالداسار في جو مشرقي في مدينه جبيل بلبنان، حيث كان هذا الأخير يملك متجرا للتحف، كان هذا المتجر من أكثر المتاجر تنوعا وشهرة في المشرق يقصدونه الزوار والزبائن من كل أنحاء العالم، فبالرغم من أن المجال الاجتماعي الذي يتحرك فيه "بالداسار" هو مجال عربي إسلامي بالدرجة الأولى، إلا أن تعاملاته وعلاقاته وتفاعلاته مع شخصيات مسيحية أو يهودية. [1]

حيث كان أول تعامل مباشر لبالداسار مع شخصية يهودية خلال رحلته إلى القسطنطينية ألا وهي "ميمون"، ففي نظر الناقد إبراهيم بوخالفة أن الروائي أمين معلوف صور هذين الشخصيتين في مشهد تآلفي ضمن مشهد حواري لافت وحيز جغرافي واحد، فقد كان اليهودي منبوذا من خلال قرون عديده في أوروبا، وكان تجميعهم وتوطينهم في الشرق الأوسط لصالح الغرب، بذلك تخلص من وجودهم الذي كان يشكل عبئا اجتماعيا على نموذجه الحضاري، وبهدف وظيفته في الشرق كمراقب لها، يرصد الأنظمة العدائية للغرب.

هذه الرحلة كانت تشكل وضعيه التآلفية، بين الحضارتين المسيحية من خلال شخصيه "بالداسار" واليهودية التي كان يملكها ميمون الطليلي، فرغم ما كانت تدعو إليه بعض الطوائف المسيحية من أنه يجب إظهار الكراهية لليهود، وخصوصا عند أداء شعائر، وذلك نتيجة الخلافات والعداوات التاريخية التي طبعت العلاقة بين الطائفتين، إلا أن "بالداسار" لم يهتم لذلك الأمر، رغما أنه يدرك أن ديانته تختلف عن ديانة اليهود والمسلمين، فهو يتقبل ذلك الاختلاف، ويراه ظاهرة صحية وطبيعية، ليس من شأنها إثارة القطيعة والكراهية، فكان بالداسار لا يحتقر ديانات الآخرين، وكذلك لا

[1]- أمين معلوف: رحلة بالداسار، ص: 08.

يسمح بتحفيز ديانته، يرى إبراهيم بوخالفة رغم ادعاءات بالداسار إلا أنه توجد مواقف تخالف ادّعاءه، كلما تعلق الأمر بديانة المسلمين. [1]

فخلال الرحلة أغرق بالداسار وميمون في حوار ديني، أبدى من خلاله ميمون سعة اطلاعه على الديانة المسيحية، إلا أنه ومن خلال ذلك أظهر بعض التحفظات بسبب أن مسيحية كانت تطبق سياسة الحب والتسامح وتعيد بالخلاص والغفران، فقط لتستدرج معارضها وتضطهدهم في السر، فميمون الطليلي أيضا يقر بظاهرة الاختلاف ويؤمن بها.

فالناقد إبراهيم بوخالفة يرى أن هذا القبول بين الطائفتين، أفضى تحالف استراتيجيا بين الحضارتين، وهذا هو ما نشهده في الوقت الحالي.

ومن خلال تطور أحداث الرواية يشهد إبراهيم بوخالفة مشهدا تآلفيا أخر، وهو قبول بالداسار عرض مضيفه اليهودي الآخر "غريغوريو" حين اقترح عليه المبيت عنده، وغريغوريو هو صديق ميمون الطليلي، إنه أحد أثرياء جزيرة جنوى، فرغم خضوع الجزيرة لسلطه العثمانيين، إلا أنها لازالت تتنفس الحضارة الغربية التي تدين اليهود، حيث كان غويغوريو يعاني عزلة اجتماعية في محيطه، ففكر في إزالة هذه العزلة بعرض ابنته على بالداسار للزواج منها، فبالرغم أن هذا الأخير لا يملك مواصفات جذابة ولا ثروة طائلة مثل التي يمتلكها اليهودي، إلا أن "غريغوريو" اعتبر بالداسار هو الخيط الذي سيشده إلى أرض أسلافه.

رغم زواج بالداسار من مارتا إلّا أنه ظل تائها في الشرق الإسلامي لا يقرر له قرار. [2]

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 271.

[2]- المصدر نفسه: ص: 275.

ثم انتقل الناقد إبراهيم بوخالفة، إلى نموذج آخر من نماذج التآلف والقبول المتبادل بين الحضارات وهذه المرة اختار أن يرصد لنا وضعيات التآلف بين المسلمين واليهود وذلك من خلال "رواية التائهون".

فنعيم ووالده كان من مثقفي اليهود، الذين هم ضد سياسة إنشاء دوله إسرائيل في فلسطين فهم يعتبرون إقدام اليهود على إنشاء دولتهم في فلسطين أكبر حماقة، وهو مشروع فاشل ومتهور أساء إلى أوضاع اليهود في العالم العربي، فقد كانوا يعيشون في سلام في الدول العربية، ولكن بعد هذه الخطوة أصبحوا مكروهين ومنبوذين لدى الشعوب العربية، فإنشاؤهم لدولة شكل كارثة كبرى باعتبارهم لموا شتاتهم، لكنهم تسببوا في تشريد شعب آخر من وطنه.

فنعيم ووالده يعتبران نموذجا من المثقفين اليهود الذين يرفضون الإقامة في فلسطين، ويبحثون عن بلدان أخرى تحتويهم، فلقد اختار والد نعيم البرازيل باعتباره ملتقى الثقافات والأديان كونها بلدا مسالما.

فالناقد إبراهيم بوخالفة يرى أن توطين اليهود في فلسطين كشف عن عمق الكراهية التي يكنها المسيحيون للعرب والمسلمين، لقد تخلصوا من عقدة الذنب على اليهود، ولكن كان ذلك على حساب العرب، فهم مسؤولون عن ما يعانيه الفلسطينيون إلى اليوم، وكذا عن كل حروب القرن العشرين وأزمات الألفية الثالثة.[1]

فالمسلمون كانوا أصحاب حضارة سائدة، تكشف عن التسامح الديني، حيث كان المسلمون يقتسمون أراضيهم مع الأقلية الدينية، فكان اليهود ينعمون بحياة هادئة لا أثر فيها للعنصرية الثقافية ولا للتمييز العنصري.

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 277.

ومن الوضعيات التآلف بين اليهود والمسلمين نجد "كلارا" و"عصيان" في رواية "موانئ الشرق" فكلارا هي تلك المرأة التي تعرفت على المواطن اللبناني عصيان وتزوجته متحديه بذلك كراهية اليهود للعرب.

فلقد انضمت كلارا إلى مجموعة من المناضلين تدعى "اتحاد العمال العرب واليهود"، حيث كانت هذه المجموعة ضد موجة العنف المتبادل في الشرق الأوسط، وكان هدفها تطبيقا مبادئ العدالة الإنسانية ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا وقفت ضد التمييز العنصري الممارس من طرف إسرائيل ضد العرب.

لقد اجتمعت "كلارا بـ "عصيان" في فرنسا وكان يعملان على مقاومة النازية هناك، ثم اجتمعا في فلسطين وذلك رغبة في مقاومة التطرف لكل من الطرفين، فهما يؤمنان بفكرة أن الأزمة لا تحل على حساب أحد الطرفين ولا بمعزل أحد هذين الطرفين عن الآخر، فكل منهما يشعر أن الشعبين اليهودي والعربي ينتميان إلى عمق حضاري واحد، وعليهم أن يناضلوا من أجل مصيرهم المشترك وأن كل منهما ضحية للهمجية الأوروبية، وما يجمع العرب واليهود من عوامل التقارب، هو أكثر بكثير من عوامل الفرقة التي سممت بها اوروبا الشرق. [1]

بعدها قرار كل من كلارا وعصيان إقامة حلف مقدس بينهما، حيث استقر رأيهما على الزواج، وهذه أبلغ صورة لتآلف رصدها لنا الناقد إبراهيم بوخالفة بين الديانة اليهودية والديانة الإسلامية فقد قدما أعلى مثال للتسامح الديني، فنجد عصيان يقول: كنا لا نريد زواجا دينيا، إذ لم نشأ الكذب من أجل عقد قراننا، فلا هي ولا أنا كنا مقتنعين بالأديان السائدة. [2]

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 280.

[2]- أمين معلوف: موانئ المشرق، ص: 135.

توّج هذا الزواج في لبنان، اجتمعت فيه عائلة الزوجين، حضره أهل كلارا من حيفا ومن أوروبا، وكذا أهل عصيان من مصر ولبنان، تحد وبذلك مشاعر الكراهية بين طائفتين، ورغم الصراعات التي كانت تزداد بين اليهود والعرب، والخلافات الزوجية بينهما في بعض الأحيان، كان يجاهد كل منهما من أجل الآخر.

وتعد هذين الشخصيتين مثالا عن نماذج، كانت تسعى لتجسيد عالم مثالي يتسع كل البشرية، لكن رغم كل المحاولات لم تنجح في وقف المسيرة الدامية في الشرق الأوسط وخاصة في فلسطين.

من خلال روايتي "بالداسار" رواية "موانئ المشرق"، حاول الناقد إبراهيم بوخالفة أن يرصد لنا أجمل وضعيات التآلف بين الحضارتين، وأسمى مظاهر التسامح الديني، وقبول الآخر لتحقيق التعايش السلمي.

فالناقد إبراهيم بوخالفة يرى أن الروائي اللبناني الفرانكفوتي "أمين معلوف" من خلال كتاباته بنى جسورا للحوار واللقاء بين الآنا الشرقي والآخر الغربي، ففي رواية بدايات يصور لنا الروائي رحلته إلى كوبا الحديثة، حيث قرر أمين معلوف وكان ذلك في أواخر القرن العشرين، ومطلع الألفية الثالثة أن يهاجر إلى كوبا، وذلك للوقوف على الآثار المتبقية لعائلته المستقرة هناك وذلك بعد انقطاع أأخبارها بعد وفاة جبريل عمه، وبعد عن جمع للمعلومات من الرسائل التي كان يرسلها جبريل إلى "بطرس"، وذلك ليتعرف على ظروف وفاة جبريل، وحينما وصل إلى كوبا كان يطلب العون من مسؤولي المنطقة، فكان موقفهم ايجابيا معه، مدو له يد العون، فلقي الروائي تعاطفا ومحبة من أهل هذا البلد، ما ساهم في تغيير موقفه السلبي، الذي كان نحوهم، فصوّر لنا أهل كوبا متحضرين ومضيافين ومتعاونين مع الأجنبي، وقد ساعدته كل الأجهزة في كوبا في مجال أبحاثه الأنثروبولوجية والصحفية، وفي ختام رحلة أمين معلوف وتجاربه مع الكوبيين لامس تغييرا في صورة أهل كوبا كله تغير ايجابيا جعله

يتساءل عن سره بعدما كان يراها بصورة سلبيه، وذلك من خلال ما رواه له عمه "بطرس".

وأمين معلوف في رواية "بدايات" رسم لنا صورة تآلفيه عن كوبا، ولكنه أقر أنه دخلها بصفته ذكر شرقيا مطبوعا بالثقافة الغربية.

أما من خلال كتاب "حسن الوزاني" (وصف افريقيا)، ورواية أمين معلوف "ليون الإفريقي" حاول الناقد إبراهيم بوخالفة استظهار أجمل الصور لإفريقيا وشعبها، ورصد لنا مظاهر التآلف بين الإفريقي والآخر، فلما كان حسن في عمر السابعة عشر رافق خاله إلى إفريقيا، وعند وصوله أرسله خاله في مهمة دبلوماسية في مدينة "أورزازات"، فوجد أميرها في رحلة صيد، ولما عاد قدم إليه حسن الهدايا من المرسلة إليه من قبل خاله، وأنجز مهمته على أكمل وجه، وبعد عودته عبر عن إعجابه الشديد بأهل تلك المنطقة، فقد وسع لهم صدره، ووصفهم بأجمل الصفات، فهم قوم كرماء مع ضيوفهم يغمرونهم بالهدايا ويقومون لهم حفلات مبهجة، ويقدمون لهم كل أصناف الطعام واستعرض الناقد إبراهيم بوخالفة وصفه حسن بن محمد الوزاني الفارسي لإفريقيا من خلال كتابه "وصف إفريقيا"، فوصف السودانيين بقوله: «يعيش سودانيون عيشة حسنة أوفياء، ويحسنون استقبال الغرباء ويقضون أوقاتهم في اللهو والمجون... ».[1]

وهذا يطابق وصفه حسن صباح في رواية "ليون الإفريقي" الذي عبر عن فرحه الشديد بهذه التجربة الحية، فقد عاد حسن إلى خاله محملا بالهدايا بعد أداء مهمته.

ثم تابعا الرحلة إلى تومبوركو، وهذه الأخيرة تبعد عن أورزازات بمسيره عشرين يوما، وكذلك أعجب حسن بهذه المدينة إعجابا كأنها جنة عدن، وكانت في

[1]- ينظر: حسن بن محمد الوزاني الفاسي: وصف إفريقيا، تر: عن الفرنسية محمد حجي ومحمد لخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص: 87.

استقبالهم مجموعه من الجنود رافقتهم إلى أماكن الراحة المعدة لهم خصيصا، وأقاموا على شرفهم حفلا موسيقيا امتزجت فيه كل أنواع الحياة في إفريقيا، فإفريقيا هي خزان الفنون الشعبية، وتقاليدهم هي مزيج من السحر والخرافة والأسطورة، يقدسون الرقص، فهو تمثيل عن فلكلور المنطقة.

يرى إبراهيم بوخالفة أن رواية "ليون الإفريقي" تكشف عن فكرة استشراقية طافحة بالمتناقضات، فهي تصور إفريقيا على أنها أرض البدائيين الذين لا يزالون يعيشون في أطوار الطبيعة إلى أطوار الحداثة في حين تكشف رحلة الوزان في أدغال إفريقيا عن قوم طيبين ومنفتحين على الآخر. [1]

يعود الاختلاف في نظر الناقد إبراهيم بوخالفة بين الشرق والغرب إلى التقسيم اليوناني، فكان العالم طبقا للتقسيم اليوناني يتكون من أحرار وعبيد، أما في العصور الوسطى كان يتكون من مؤمنين وكفار، وانتهى في العصر الحديث إلى متحضرين ومتخلفين، فهذا الفكر الثنائي ظل متجذرا ولا يزال إلى اليوم في الفكر الأوروبي قديما وحديثا، والذي تغير هو المصطلحات فقط، أما التفكير ظل كما هو.

فالكتاب الغربيون مهما كانت إيديولوجيتهم، لا يمكنهم بأي حال من الأحوال إنتاج النصوص السردية أو الفكرية، بمعزل عن انتمائهم إلى أمة غربية معينة فهم يعتبرون أمتهم هي الأفضل والأقوى والأكثر عقلانية. [2]

فمثلا الرواية الغربية تستند في بنيتها الإيديولوجية على تفوق الغربيين على غيرهم، يظهرون فيها روح الإعتزاز بالذات، والتمركز حولها.

ويرى الناقد إبراهيم بوخالفة أن الروائي أمين معلوف توجد في رواياته أثر التمركز حول الآنا الغربية، كونه عاش داخلها ثقافه غربية، فهي تظهر بشكل واضح،

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 289.

[2]- المصدر نفسه: ص: 291.

ومن بين هذه الروايات: "رحلة بالداسار" في وجهة نظر ابراهيم بوخالفة أن هذه الرواية تفننت في تمثيل موضوع الآخرية في المخيال الغربي من خلال شخصيه "بالداسار" فلقد طاف الشرق طولا وعرضا، وطاف قلب أوروبا حيث التقى بجميع أصناف البشر، باحثا على شكل مكتمل للهوية المتعالية، فلم يزده ذلك إلا اعتزازا بالنفس وتفضيلا لها، في ظل وجود الآخر الذي يسعى لفرض شخصيته.

فشخصية "بالداسار" يرى الناقد أنها كلما اصطدمت بأوضاع ثقافية وأخلاقية تدينها وسارعت إلى تعظيم ذاتها، وذلك كما كان الحال في مستهل رواية "بالداسار"، عندما التمس المدعو إدريس من بالداسار أن يبيع له كتابا لم يعد يحتاجه، حيث كان إدريس رجلا شديد الفقر فقام بالداسار ببيع الكتاب بثمن مغر لم يكن صاحبه يحلم بنصف ذلك المبلغ، وبعدما سلم بالداسار المبلغ لإدريس أردف قائلا: لم أكذب عليه، مخاطبا بذلك نفسه، كنت أسعى لصون كرامتي هذا الرجل البائس ومعاملته كبائع وليس كمتسول. [1]

ومن هنا التمس الناقد أن بالداسار كلما اصطدم بموقف أخري عاد لتأمل ذاته واستنباطها، فعجزه عن التواصل مع الآخر والتفاعل معه جعلاه مرتدا إلى ذاته.

وهذا ما نجده في مواقف كثيرة من الرواية، ومن بينها عندما قام بالداسار بقبول حمايه مارتا وضمها إلى قافلته، حيث عملها على أنها زوجته، حتى لا يثير حولها الشبهات في مجتمع يدين المرأة ويعتبرها تابعا.

حيث كان يعي بالداسار أنه مذنب، فبدل أن يعينها على مواجهة واقعيها المتأزم، راح يستدرجها إلى مغامرة عاطفية محمودة، لا تزيد مأساتها إلا تعقيدا، لكنه راح يبرر سلوكه بحسن نواياه، على أنه أراد إنقاذها فهي إمرأه مطاردة ومهددة بالقتل.

[1]- أمين معلوف: رحلة بالداسار، ص: 22.

وانطلق بالثناء على نفسه، كونه دائما ما يضع نفسه في موقف الدفاع عن الضعفاء، وكذلك كان الأمر لما أنقذ الرجل العربي من الموت ولما رد الاعتبار للرجل المسيحي الذي تعرض للإهانة من طرف قائد القافلة، ويرجع بالداسار هذه النزعة الإنسانية لمساعدة الضعفاء والمعذبين، بغض النظر عن خلفيتهم الحضارية إلى الدم الامبرياتشي الذي يجري في عروقه. [1]

بالداسار يؤمن بقيمه المسيحية ونبل أفعاله، ولكن عندما تتعاظم شكوك الآخر به وتحترم نظراتهم، يتزعزع إيمانه بذاته وهذا ما حدث عندما اتهم باطلا بإشعال حريق في إحدى مكتبات إزمير، حيث شعر بالظلم، وهذا ما جعله يتساءل بأي حق يساء إليه، فهو كان رجلا خيرا لم يفعل إلا خيرا فهل هذا جزاء الإحسان؟.

وهذا جعله يدرك أن هناك أناس أشرارا، وأنه لا توجد منطقة يلتقي فيها المسيحي الفاضل والمسلم المستبد، وأن العثمانيين برابرة يمارسون القرصنة، فهم المرتشون والهمجيون الذي يحتقرون الآدميين الذين ليس من طينتهم.

هـ- الرؤية النقدية في الفصل الخامس في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة:

أعطى الإسلام للمرأة مكانة تستحقها حيث حافظ على كرامتها وحقها وإرادتها الذاتية وجعل لها حدودا لا تتجاوزها لكي لا تؤذى، وتبقى عفيفة شريفة قال تعالى:﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ [2] وعلى ضوء هذه الآية كانت سورة المرأة الشرقية توصف بالانغلاق والتحجر والتخلف والرجعية حيث كان الغرب ينظر للمرأة الشرقية بهاته الدونية جسدت هذه الرؤية الاستشراقية للمرأة دونيتها وتحجرها وانغلاقها وغدت توصف بعدة مواصفات ارتأينا أن نوضحها من خلال دراسة روايات أمين معلوف التي أبان

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 293.

[2]- سورة النور: الآية: 31.

فيها إبراهيم بوخالفة مدى تعدد الصور التي كانت المرأة التقليدية والمرأة الحديثة توصف بهما حيث بدأ يتجسد صورتها في رواية "ليوف إفريقي" جرت أحداث تلك الرواية حول معانات كانت تعيشها النساء وقصة مريم التي يعيرونها "بدودة القز" كما لا يخفى أن أمها ينادونها "بالرومية" كونها أجنبية مسيحية تزوج أبيها بامرأة عربية أنجبت ولد اسمه "حسن" كان التفريق بين الزوجتين جليا ومحتما لأن الثقافة التي سردها أمين معلوف من خلال ما صرح به إبراهيم بوخالفة تفضل الذكر على الأنثى وكذلك هيمنه العنصرية بين الزوجتين فاهتمام بزوجة العربية ذات الأصول نفسها اهتماما بالغا في نظير ذلك إهمال واحتقار تلك المرأة الأجنبية وصرح مدى دونية المرأة ومركزية الذكور ومدى التعصب الفكري وضيق الثقافة بالمرأة بأنها تصلح للبيت ولا تخرج من وراء تلك الجدران العابسة التي كانت تعاني من الحرمان ما يكفيها لتسلم نفسها لواقع شنيع لا يتغير أبدا فتحقيق ما ترغب به بات مستحيلا.

فالثقافة التي تشبع بها أبيها تمنع على المرأة الاختلاط بالرجال حتى وإن كان أخيها "حسن" فهنا نلاحظ مدى أزم تلك الثقافة التي ترى بها المرأة الشرقية ومدى خطورة التخلف الفكري والتعصب الرجعي وهذا المقطع تحدث فيه "مريم" أخيها "حسن" الذي لا تراه أبدا تقول: « ولكن لماذا لا تكلمني قط؟ لماذا لا تأتي وتسألني إذا كنت أبكي في أثناء الليل؟ إن واجبي هو أن أخاف الرجال جميعا اليوم أبي وغدا زوجي وجميع من ليس أقاربي علي أن أحتجب عنهم».[1]

من خلال هذا المقطع بين إبراهيم بوخالفة مدى خوف "مريم" من الرجال كلهم فالثقافة التي ترتب فيها هي ثقافه الخوف من الرجل وفي مجتمع يكرس الهيمنة الذكورية باسم الدين فقضت طفولتها الأولى في عزلة قاتلة بين مأساة وبكاء شديد، كانت مقطوعة عن محيطها القريب والبعيد وحتى التواصل المقطوع بين الذكور في

[1]- أمين معلوف: ليون الإفريقي، ص: 165.

قنوات التواصل، هذا «يوضح أن الاختلاط بالذكور في المجتمع العربي التقليدي محظور أو محفوف بالمخاطر من المنظور الرجال»[1].

يرى إبراهيم بوخالفة الخوف المفرط الذي جسده أمين معلوف في روايته عن المرأة الشرقية بدرجة تفوق الحد المعقول حيث ما إن بلغت سن البلوغ يزوجونها هذا ما حدث مع مريم أراد أبيها "محمد صباح" تزويجها برجل يكبرها سنا من أجل اتفاق صار بينهما على شراكه كانت سببا كفيلا لتسميتها "بدودة القز" رفضت هذا الزواج لكن رفضا داخليا فقط لأنها لا تمتلك حق الرفض مطلقا وصمت قائلا لأنها تفعل وتطبق ما يملي عليها أبيها فلغة الرفض غائبة تماما بل تقبل كل ما يقرره الرجل دون معارضة، في هذا المشهد جسدا الهيمنة الذكورية وإلغاء ذات الأنثوية حتى في خصوصياتها، لا يحق لها الاختيار (الرفض أو القبول) حيث صور مشهد الرجل العجوز "الزروالي" محفوفا بالنساء بمختلف الأعمار والألوان ومن كثرتهن لا يتذكر أسمائهم وإن شعر بخديعة إحداهن يقوم بقتلهن وطمس آثار الجريمة من قبل باقي زوجاته هنا أعطى رؤى أخرى عن المرأة الشرقية فالرجل لن يكبته استعبادها وسلب حقها حتى يجعلها تشارك في جرائم القتل هنا نلاحظ مدى تلاعب بالمرأة والواقع الديني الذي باتت تعيشه، في مقابل ذلك يكشف عن ثقافة نسوية المختلفة ويكشف ثقافة الحريم عن تقاطع القومية والعرق، وهنا بين لنا عجز المرأة من إنتاج نصوص احتجاجية لأنهن أميات ومسكونات بثقافه الخوف والخنوع إن «ما تحتاج إليه المرأة الخانقة هو إطار تطوري، ولغة قادرة على الإفصاح عن الأذى الواقع عليها، وعن احتجاجاتها ومطامحها».[2]

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 302.

[2]- ناريان أوما: نقض مركزية الكرز، ترجمة: د. منة طريق الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2012، ص: 43- 44.

فوضع إبراهيم بوخالفة مدى خطورة الوضع الذي آلت إليه المرأة الشرقية من خلال ما صوره أمين معلوف وبين ما يقحم وينقض المرأة هو واحد وهو الرجل كيف ذلك؟ بأن أبوها هو أقحمها في زواج هي لا ترغب به "إقحام" وسعي "هارون" "المنقب" و"حسن" من انقاضها من هذا الزواج المشؤوم "انقاض" ونجح "هارون" في ذلك بإدخالها المصحة بادعائها بمرض الجوذام ألغيت خطبتها من ذاك العجوز ونجح "هارون" في تهريبها من المصح والزواج منها، هنا وقف إبراهيم ليوضح مسألة مهمة كانت هي ثقافة شائعة لدى المشرق التي جسدها في هذه الرواية وهي خوف المرأة من العنوسة وبات كابوسا مزعجا لها وتخشى الوقوع فيه.

كانت مريم نموذج المرأة الهجينة والمعذبة والمسلوب حقها في وسط يكرس الهيمنة الذكورية.

في مقابل هذه الصورة السوداوية والمشؤومة أعطى نموذج آخر حقيقة أخرى من خلال نموذج المرأة الإفريقية الشرقية التي تمثل نور وعبق الحياة، فانتقل في ذلك مع "حسن" وملك مدينة "أورزازات" بإفريقيا في مهمة ديبلوماسية ألقى فيها قصيدة بها بفتاة إفريقية كهدية له قصيدته الجميلة تدعى "هبة" سمراء فارسيه في عمر الرابعة عشر تجيد اللغة العربية تحمل من التحرر والفكر ما يكفيها لتعيش مستقلة، فبينت هذه المرأة مدى التحرر الفكري الذي تتمتع به، هنا أعطى إبراهيم بوخالفة رؤية المرأة الشرقية بشقين اثنين الأولى أعطاها دور الكتمان والحرمان والسيطرة الذكورية والخجل المفرط المالك لها وعدم تحررها وتحجرها وبيان ثقافتها المحدودة والمتخلفة ومدى هيمنة الذكر وإلغاء الذات الأنثوية في أبسط الأشياء أما الشقة الثانية أعطاه صورة كافية من التحرر الفكري ومدى معرفة المرأة بذاتها وإدراكها بذاتها الأنثوية استحقاق التقدير واتخاذها القرارات.

انتقل إبراهيم بوخالفة من إفصاحه عن صورة التي تبناه أمين معلوف في رواياته عن المرأة التقليدية إلى المرأة الشرقية الحديثة فرأى أنها تمتلك من التحرر ما يكفيها للعب واللهو مع الرجال دون أن تضبط تلك العلاقات وتصبح علاقات رسميه منضبطة في حدود العرف والدين والقانون هذا ما صوره لنا إبراهيم بوخالفة من خلال رؤيته لرواية "سمرقند" في شخصية "جيهان" التي تمثل تحرر المرأة الشرقية الشبقية وعلاقتها مع "الخيام" الغير منضبطة ورفضها الزواج منه وخلاص من تلك المكائد (...) التي تقام مع حريم في قصر الملك هما يقول أن التمثيلات للمرأة الشرقية مرتبطة ارتباط عضويا بالسلطة السياسية القائمة وهنا يمكن القول أن "جيهان" في علاقتها مع الخيام أعطت صورة للمرأة الشرقية التي تحت لواء السلطة حريم السلطان ومنغمسة في ألاعيب السلطة ثم أعطى تمثيل آخر للمرأة الشرقية حيث صور علاقة "لوساج" بـ "شيرين"، حيث كانت ترى "لوساج" الرجل المنقض لها من تخلف الشرقية المنغمسة فيه وهو وسيلة لتمتع بالحرية في الغرب طمعا في العيش تلك النفحات الغريبة المشبعة بالتحرر المطلق فقد "لوساج" "شيرين" في حادث اصطدام تيتنيك مع صخور ثلجيه فقد معها مخطوط فصور إبراهيم بوخالفة هذا فقد بمثابه مساعي الغرب لتحديث الشرق وعصيان الشرق ورفضه لمثل هذه التحولات الإمبريالية التي عمل عليها الغرب ثم انتقل ليصدر لنا صورة أخرى عن المرأة الشرقية الفاقدة لإرادتها واستقلاليتها فهي لا تستطيع العيش بدون رجل فحضورها ومعيشتها تقتصر على حضور الرجل كعنصر أساسي في حياتها «إن مارتا هي نتاج ثقافة شرقية محافظة، تقضي المرأة عن كل الأدوار الاجتماعية باستثناء دور الإنجاب وأنماط التفكير من خلال التربية والتلقين»[1].

[1]- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، ص: 321.

فالمرأة في المخيال العربي الإسلامي قاصرة عن البحث في القيم الثقافية وخلقها بل نقل والحفظ والصون بحكم قصور مداركها العقلية وتبعيتها للزوج لا تنقطع تماما فمشهد "بالداسار" مه "مرتين" يوضح عجزها في غياب زوجها، واتكاء "بالداسار" في شؤونها وتدبير أمورها نادت الثقافة الشرقية بمحافظة المرأة على وفرض العقوبات عليها إذ تعلق الأمر بشرفها أو أنها تتهم بالخيانة الزوجية وتعزل عن مجتمعها ويشار إليها بالبنان وهذا ما جسده أمين معلوف في علاقة "بالداسار" مع "مرتين" الغير شرعية وخوفها من مجتمعها أن يعرفها ما فعلته مع رجل أجنبي.

ثم تطرق إبراهيم بوخالفة إلى صورة أخرى بعيدة كل البعد عن الصورة التي شاهدناها من قبل حيث تطرق إلى شكل آخر وثقافة أخرى للمرأة الشرقية التي تمثل ذات شخصية مستقلة لا تقل تحررا عن المرأة الغربية بل تشابها معها في ثقافتها ومبادئها وقضية التحرر لديها مولود معها منذ صغرها اسمها "سميراميس" لبنانية مشبعة بالثقافة الغربية لها فندق، جرت أحداث في الشرق الأوسط في ثمانينات القرن الماضي سرد أحداث التقائها مع زميلها آدم وعلاقتها معها المتحررة مثل الغرب إن هذه الصورة التي جسدها أمين معلوف ما هي إلا نتيجة التفاعلات امتزاج في الشرق العربي وهي تمثل حضور الثقافة الغربية حيث رأى تلك الصور التي قدمها أمين معلوف ما هي إلا نتيجة التفاعلات امتزاج في الشرق العربي وهي تمثل حضور الثقافة الغربية في لبنان وهذا ما أدلى به إبراهيم بوخالفة حيث رأى تلك الصور التي قدمها أمين معلوف عن المرأة هي نظرة المرأة المضطهدة وضحية الفكر الرجعي المتخلف في مجتمع يسوده حكم ذكوري وسيطرة ذكورية وإلغاء ذات الأنثوية وجعلها حبيسة البيت.

ملخص الفصل الثاني:

الفصل الثاني الموسوم بـــ: "الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة" ويحوي مبحثين:

المبحث الأول تطرقنا فيه إلى تعريف بإبراهيم بوخالفة، أهم أعماله وإنجازاته، ومن أهم أعماله كتاب أطياف الاستشراق، وهذا ما نحن بصدد دراسته في المبحث الثاني، فقد استنبطنا أهم الرؤى التي خرج بها من خلال دراسته لستة روايات لأمين معلوف، فقد جاء الكتاب في خمسة فصول، فالفصل الأول من الكتاب استهله ببيان تمهيدي حاول توضيح بعض المصطلحات ليؤهل القارئ فيما بعد لفهم تلك الرؤى النقدية، ثم تطرق في الفصل الثاني إلى دراسة الروايات واعتمد فيه على علم الصورة لدراسة صورة الآخر الأجنبي في الخطاب الروائي أو الأدبي بشكل عام ثم تحدثنا في الفصل الثالث عن الصورة الهوسية والتي تمثل مدى تعلّق بالآخر الأجنبي والانسلاخ من قيمه وأصالته، وعرقه، وعرفه ومبادئه، وتأثره، واستقباله الثقافة الغربية وحضنها وتبنيها دون تحريك النزعة القومية والدينية...ثم تناولنا في الفصل الرابع وضعية التآلف رصدنا فيها أهم وضعيات التآلف من خلال روايات أمين معلوف، وأخيرا تحدثنا عن صورة المرأة الشرقية في المخيال الغربي من دونية ورجعية، ثم أعطى صورة عن المرأة الشرقية الحديثة وذكر المميزات التي تحظى بها.

خـــاتـمـة

لقد شغل الاستشراق حيزا كبيرا في الكتابات العربية وذلك لأن الحضارة التي نشا فيها وهي الحضارة الغربية هي الغالبة في العصر الحاضر.

ومن هنا يمكن إجمال بعض النتائج التي أفضت إليها قراءتنا النقدية لكتاب أطياف الاستشراق (تشكلات الآخر في روايات أمين معلوف) للناقد إبراهيم بوخالفة في ما يلي:

- ✓ الاستشراق مؤسسة علمية تسعى إلى امتلاك المعرفة بالشرق والمشرقيين لها بواعثها ودوافعها.
- ✓ الاستشراق مدرسة فكرية ذات خصائص وغايات ليس من اليسير على أي باحث أن يحيط بأسرارها.
- ✓ شكلت قضية المواجهة بين الشرق والغرب، أحد أبرز المواضيع السردية في الرواية العربية عامة ورواية أمين معلوف خاصة.
- ✓ لقد تعددت الدراسات التي تناولت الظاهرة الاستشراقية، وجاء معظمها في شكل دراسات نقدية.
- ✓ صحيح أن أمين معلوف هو روائي عربي ومشرقي، كان يفترض به إعادة تصحيح نظرة الغرب إلى العرب والمسلمين، لكنه كان فقط منشغلا بإعادة الفكر الاستشراقي.
- ✓ المركزية الأوروبية لم تختف باختفاء الاستعمار، إنما غيرت من تجلياتها السياسية والثقافية.
- ✓ لقد أفضى تحليل الناقد إبراهيم بوخالفة لروايات أمين معلوف إلى تمثيلات مسيئة للعربي المسلم، وأن العربي منبهر ومندهش من ثقافة الأجنبي الذي يتجاوزه بمراحل تاريخية وأنه غير متوقع أن يتدارك العرب تخلفهم، وأن يبلغوا ما بلغه الغرب.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا- المعاجم:

- إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1913.
- ابن فارس: مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ- 1979 م.
- ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، المجلد السادس، ط1، د ت.
- الأزهري: تهذيب اللّغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- أندرو ويستر سيد جوني: موسوعة النظرية الثقافية.
- الجرجاني: التعريفات، ت، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط.
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982م، ج1.
- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، طبة دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1401هـ- 1981م.
- الرّازي: مفاتيح الغيب، 327/ 11، تفسير الشعراوي، 8/4541.
- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح، صفوان عدنان الداودي، دار القلم الشامية دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، ج1.
- الزمخشري: أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998، ج1.
- علي أكبر النجفي: التحفة النظامية في الفروق الإصلاحية، دار المعارف النظامية، القاهرة، ط1، 1312هـ.
- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي: مختار الصّحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414 هـ- 1994م.

- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت.
- الموسوعة العالمية، مؤسسة أمال، الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999.

ثانيا- المصادر والمراجع العربية:

- إبراهيم اللبان: المستشرقون والإسلام، القاهرة، الأزهر، 1970م.
- إبراهيم بوخالفة: أطياف الاستشراق، تشكلات الآخر في رواية أمين معلوف، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م.
- إبراهيم بوعبد الله: المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط1، 1997.
- إبراهيم عبد الله: المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1997.
- أحمد سمايلو قش: فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1418هـ- 1998م.
- إدوارد سعيد: الألسنية والنقد الديمقراطي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- أدونيس: الثابت والمتحول، ج3، دار العودة، بيروت، ط1، 1978.
- إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، ج12، 1421هـ- 2000م.
- حسن حنفي: هموم الفكر والوطن، دار قباء، القاهرة، ط2، 1998.
- حسين الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- زقزوق محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، الكويت، ط1، 1404هـ.

- الزيادي محمد فتح الله: ظاهرة انتشار الإسلام ومواقف المستشرقين منها، طرابلس- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1392 هـ- 1983م.
- سامح الرواشدة: منازل الحكاية (دراسات في الرؤية العربية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م.
- سعد الدين الصالح: احذروا الأساليب الحديث في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، دط، 1990.
- صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1998م.
- الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المتابع، الجزائر، 2004.
- عبد الإله بلعزيز: العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين، بيروت، مركز الوحدة العربية، 2007م.
- عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، دراسة نقدية، الرياض، 1991.
- عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، سلسلة الرسائل الجامعية 21، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات الأمريكية المتحدة، ط1، 1417- 1997م.
- عبد النبي ذاكر: أفق الصورولوجيا (نحو تجديد المنهج)، مجلة علامات في النقد العربي، العدد 51، 2004م.
- عقيلة حسين: المرأة المسلمة فكر الاستشراق، دار بن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2004م.
- علي إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلاميّة، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1998.

- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الرياض، ط1، 1414هـ- 1993م.
- علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق (المفهوم، الأهداف، الارتباطات)، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان- بيروت ، ط3، 1432 هـ- 2011م.
- علي بن إبراهيم النملة: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربيّة، بيسان، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر 2010م.
- فؤاد زكريا: نقد الإستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة الهنداوي سي آيس سي، المملكة المتحدة، دط، 2017/01/26م.
- ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريان دمشق، 2000.
- محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 05، دت.
- محمد المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، نوفمبر، 1992م.
- محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420 هـ- 199م.
- محمد حميدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.
- محمد عبد الفتاح عليان: أضواء على الاستشراق، الكويت، دار البحوث العلمية، 1980م.
- محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق (وتشكيل نظرة الغرب للإسلام)، دار الكبير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 1437 هـ- 2016م.
- محمد عثمان صالح: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1989م.
- محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر.

- محمد فاروق النبهان: الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنطقة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، المملكة المغربية، الرباط، 1433 هـ- 2012م.
- محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها.
- منذر معاليقي: الإستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م.
- نادر كاظم: تمثيلات الآخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، مجلد3، 1970م.
- يحي عبابنة: الرؤى المموهة قراءات في ديوان عوار (عيشات وادي اليابسي)، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م.

ثالثا- المقالات المجلات:

- أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، بير منجهام، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- أحمد محمد جمال: المستشرقون ليسوا سواء، المنهل، مجلد 55، العدد 481، 4 ماي، 1989م.
- حسين الهراوي: ضررهم أكثر من نفعهم، لهلال مجلد، 42، العدد 2، أوت 1352هـ.
- علي الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عدد 111، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970م.
- علي بن إبراهيم النملة: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، التوباد مجلد 1، عدد 4، 1999م.
- محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، قضايا إسلامية، سلسلة يصدرها المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1414 هـ- 1994م.

- نوافل يونس الحمداني: الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى، مجلة ديالي، العدد 55، 2012م.

خامسا- الرسائل الجامعية:

- إبراهيم بن عمار: الاستشراق المعاصر ودوره في وضع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، أطروحة مقدمة للحصول على شهادة دكتوراه، ل . م. د، في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران2، 2018م- 2019م.
- شايب الدور أمحمد: الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، مذكرة ماجستير، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2009- 2010م.
- كلفالي سميحة: الرؤيا الشعرية ومرجعياتها عند أدونيس، مجلة قراءات، العدد العاشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات (مخبر التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها)، نوفمبر (2017م).
- محمد أندلوسي: الترجمة الأدبيّة عند المستشرقين (المدرسة الفرنسية أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي المعاصر في ضوء الاستشراق، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات الأجنبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009- 2010.
- هني كريمة: إسهامات حركة الاستشراق في التاريخ لنشأة المسرح العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم قسم الفنون، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017 - 2018م.

سادسا- المراجع المترجمة:

- إدوارد سعيد: المعرفة السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط4، 1995م.
- أمين معلوف: بدايات، دار الفارابي، بيروت، الجزائر، ط1، 2004.
- أمين معلوف: ليون الإفريقي، دار الفارسي، بيروت، ط3، 1997.

- أومانا ريالين وسانداراها دينغ: نقض مركزيـــة، ترجمـــة: د. يمـــنى طريـــف الخـــولي، المدلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2012.
- بريتشيد: انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969م.
- تودوروف تيزفيتان: نحن والاخرون، دار المدى، دمشق، ط1، 1999.
- حسن بن محمد الوزاني الفاسي: وصف إفريقيا، تر: عـــن الفرنســـية محمـــد حجـــي ومحمد لخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.
- رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967م.
- مكسيم روندنسون: صـــورة العـــالم الإســـلامي في أوربـــا، دار الطليعـــة، لبنـــان، 1970.
- ميكائيل أنجلو جويدي: علم الشرق وتاريخ العمران، مجلـــة الزهـــراء، العـــدد 2، 3، مصر، القاهرة، 1347هـــ.
- ناريان أوما: نقض مركزية الكرز، ترجمة: د. منة طريـــق الخـــولي، المجلـــس الـــوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2012.
- هاردت مايكل ونيقري أنطونو: الإمبراطورية، تعريب، مكتبة العبيكات، الرياض، ط1، 2002.
- ودي بارث: الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نوادكه، تر: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م.

سابعا- المراجع الأجنبية:

- Edwars Said, Orientalisme, New york : vintage books, 1972.
- Rutha mossyet anne herchberg, stérotypes et chichés, Ed Nathan, Paris, 1997.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الإهداء

الشكر والتقدير

مقدمة ..... أ

مدخل: الاستشراق 02

الفصل الأول: الاستشراق والنقد

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق 11

أ- التعريف اللغوي 11

ب- التعريف الاصطلاحي 12

ج- مفهوم الاستشراق عند العلماء والباحثين 13

د- نشأة الاستشراق 20

هـــ- دوافع الاستشراق 22

المبحث الثاني: مفهوم الرؤية 26

أ- التعريف اللغوي 26

ب- التعريف الاصطلاحي 29

ج- الفرق بين الرؤية والرؤيا 29

د- الرؤية في المفهوم النقدي 31

المبحث الثالث: نقد الاستشراق 32

أ- موقف النقاد العرب من الاستشراق 32

ب- موقف المستشرقين من الاستشراق 35

ملخص الفصل الأول: 37

الفصل الثاني: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق لإبراهيم بوخالفة

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بوخالفة 40
المبحث الثاني: الرؤية النقدية في كتاب أطياف الاستشراق 42
أ- الرؤية النقدية في الفصل الأول 42
ب- الرؤية النقدية في الفصل الثاني (علم الصورة) 49
ج- الرؤية النقدية في الفصل الثالث (الصورة الهوسية)..... 57
د- الرؤية النقدية في الفصل الرابع (وضعية التآلف) 66
هـ- الرؤية النقدية في الفصل الخامس (صورة المرأة التقليدية) 75
ملخص الفصل الثاني 81
خاتمة 83
قائمة المصادر والمراجع 85
فهرس المحتويات 93

الملخص:

الاستشراق يمثّل أحد أبرز محددات العلاقة بين الغـــرب والشـــرق، قـــديما وحـــديثا وفي الوقت المعاصر، ذلك أنّ الاستشراق بشكل عام هو تلـــك الصـــورة الـــتي ترتســـم في ذهن الرجل الغربي عن الشـــرق عامـــة، والشـــرق العـــربي والإســـلامي خاصـــة، نتيجـــة الكتابات – سواء الأكاديمية منها أو الخيالية– التي يجريها الباحـــث الغـــربي عـــن موضـــوعه الذي هو الشرق.

Résumé

L'orientalisme représente l'un des déterminants les plus importants de la relation entre l'Occident et l'Orient, ancien et moderne, et à l'époque contemporaine, car l'orientalisme en général est l'image qui se dessine dans l'esprit de l'homme occidental à propos de l'Orient en général, et l'Orient arabe et islamique en particulier, du fait des écrits - qu'ils soient académiques ou fictifs - qu'il écrit au chercheur occidental sur son sujet, qui est l'Orient.

Summary:

Orientalism represents one of the most prominent determinants of the relationship between the West and the East, ancient and modern, and in the contemporary time, because Orientalism in general is the image that draws in the mind of a Western man about the East in general, and the Arab and Islamic East in particular, as a result of the writings - whether academic or fictional - that he writes Western researcher on his subject, which is the East.